مايو ٢٠٠١ - العدد ١٨٩

أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

عبد الرحمن منيف: أنا حالة خاصة



الأحداث: قصة لادوارد فوكس

هرّة أبي: قصة أرمنية سورية

- أيها الفلسطيني: من يرقص أفضل منا؟
- الثورة الثقافية الشبابية



أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية
شهرية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى
تأسست عام ١٩٨٤ - السنة السابعة عشر
العدد ١٨٩ - - مايو ٢٠٠١





المستشارون : د. الطاهر مكى / د. أمينة رشيد/ صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس
شارك فى هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون : د. لطيفة الزيات/ د. عبد المحسن طه بدر/ محمد روميش/ ملك عبد العزيز.
لوحة الغلاف للفنانة : رباب نمر
الرسوم الداخلية للفنان: سعد عبد الوهاب
التنفيذ الفنى للغلاف : أحمد السجينى
(طبع شركة الأمل للطباعة والنشر) .
أعمال الصف والتوضيب الفنى : نسرين سعيد إبراهيم
المراسلات : مجلة أدب ونقد ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب . الأهالى
القاهرة - ت : ٢٩ / ٢٨ / ٥٧٩١٦٢٧ فاكس : ٥٧٨٤٨٦٧
الاشتراكات لمدة عام : داخل مصر ٤٠ جنيها / البلاد العربية ٣٠ دولاراً - أوروبا وأمريكا - ٦٠ دولاراً باسم الأهالى - مجلة أدب ونقد . الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر .

المحتويات



أول الكتابة

فريدة النقاش

شعارنا هو:

« كن واقعيا واطلب المستحيل! نحن ننتزع أحجار الشوارع ،ونبحث تحتها عن الشاطئ » هكذا يقول الطالب لأستاذه الفيلسوف الذى يرقد مريضا فى المستشفى وهذا القول هو دفاعه عن ثورة الطلاب التى كان المحللون السياسيون قد أطلقوا عليها وصف ربيع باريس بعد أن اجتاحت جامعات فرنسا كلها فى مايو من عام ١٩٦٨ وذلك فى قصة « الأحداث.» للكاتب الأمريكى الانجليزى « إدوارد فوكس » والتى ترجمها لنا الصديق الفنان« طلعت الشايب » لهذا العدد .

كان الطلاب الفرنسيون قد عبروا عن غضبهم لافحسب ضد النظام الطبقى الأبوى فى فرنسا برئاسة الجنرال ديجول« ذلك العملاق الفاشى » على حد وصفهم بل أيضا ضد الحرب فى فيتنام وضد الكنيسة والأسرة.. وما يدعونه بالجهاز الأيديولوجى للدولة بما فى ذلك الكلية نفسها.

كانت إذن ثورة شاملة ضد المؤسسة.. أخذ الطلاب فى خضمها يصنعون حلمهم ..اليوتوبيا كما سماها أستاذهم المريض بينما يريدون أن يغيروا العالم ويقلبوه رأسا على عقب مدفوعين بالمثل العليا التحررية الإنسانية ،مستمدين من غضبهم طاقة متجددة لمواجهة القمع باحثين « عن شاطئ تحت الأحجار » ، تلك الأحجار التى استخدموها فى مقاومة الهجوم الوحشى للبوليس عليهم حين انفجرت مظاهراتهم مطالبة بالإفراج عن المعتقلين من زملائهم ..الذين طالبوا بتغيير جذرى لكل مناهج التعليم وطرائقه ..لكن لأنهم لم يكونوا قادرين على انتزاع كل الأحجار التى تغطى على الشاطئ مع القوى الأخرى المضطهدة التى لم تنضم إليهم لأن عناصر الثورة الشاملة لم تنضج، وكانوا هم معنيين بمفهوم التحرر الذاتى أى تحررهم هم بصرف النظر عن المجتمع وصف الأستاذ حركتهم بأنها تمرد أيديولوجى وليس ثورة سياسية باعتبار أن الأيديولوجيا هى نظام الأفكار والتصورات المسيطر على فكر إنسان أو

جماعة إنسانية ،وهى أيضا تصور للعلاقات الخيالية القائمة بين الأفراد والظروف الواقعية لوجودهم ..أى أنها متمترسة فى العقل والوعى.

أما الثورة السياسية فهى تلك التى تؤدى إلى التغيير الجذرى لا فحسب فى الأفكار والوعى وإنما أيضا فى المؤسسات ونظم الحكم والعلاقات الاجتماعية فى إعادة توزيع الثروة لسيطرة البشر على مقدراتهم ومصائرهم.

وكان الأستاذ المريض المتهم بأنه ممسوس أو مجنون قد تنبأ بهزيمة الطلاب من واقع متابعاته المركزة لأساليب عمل الشرطة ومعرفته الواسعة بمدى قوة أجهزة القمع ومؤسساته بل وأساليب عمل السلطة كلها فى مواجهة تمرد الطلبة وحركة الشعب عامة.. وقال الأستاذ للطالب مؤكدا « السلطات الفرنسية أدخلت سلاحاً سريا لمقاومة حركة الطلاب ».

وحين استمع الطالب إلى ذلك ظنه من قبيل الهلوسات وإذ بنا نتبين فى نهاية القصة أن السلاح السرى الذى يصفه الأستاذ قد جرى استخدامه بالدقة المتناهية التى وصفه بها .. لتتبين لنا قوة وهيمنة المؤسسة السياسية والبوليسية وقدراتها غير المحدودة وإن اهتزت أو على الأقل تخلخلت سطوتها الأيديولوجية أمام موجه التحرر العاصفة.

ولعلنا سوف نتساءل لماذا وصف الأستاذ حركة الطلاب باليوتوبيا واقتبس من« لينين » قوله« إنها اضطراب طفولى يمكن الشفاء منه إذا عولج جيداً » وفى ظنى أنه يعالج هنا« اليوتوبيا » بمعناها السلبى الذى ينطوى على رؤى خلاصية ذاتية ،ورجعية فى خاتمة المطاف حتى لو كانت ذات بريق أخاذ شأن النزعات الفوضوية أو الحركات الدينية التى ترى أن السعادة الحقة قد وجدت فى الماضى الجميل لدى بداية عصور الرسالات الدينية الكبرى وأن العمل من أجل استعادة هذا الماضى الجميل هو الكفيل وحده بتحقيق السعادة المنشودة للبشر جميعا أى أن مستقبل البشر هو مخزون فى ماضيهم. كذلك هى حال الرؤية الخلاصية الذاتية التى تتأسس على أن التحرر الذاتى لكل فرد على حدة سوف يكون فى حد ذاته تحررا للمجتمع كله ، وهو ما يتضمن قفزا إراديا على علاقات الانتاج وشبكة المؤسسات الاجتماعية الهائلة

التى أنتجها المجتمع الطبقى والقائمة على الفوارق الاجتماعية الضخمة والانقسام والتى يدور فيها جميعا صراع طبقى يخفت أو يحتدم طبقا للمعطيات الذاتية والموضوعية . ويمكن فحسب من خلال إدارة هذا الصراع لصالح الكادحين مع مراكمة مكتسباتهم أن تتحقق الثورة .

أما اليوتوبيا بمعناها الإيجابى المستقبلى فهى التى تنشد تغيير العالم الواقعى القبيح مستلهمة كل المدن الفاضلة التى خلقتها مخيلة الفلاسفة والمفكرين وحكايات الشعوب وطموحاتها وأساطيرها وأبطالها والعمل الثورى الواعى المنظم الذى يتخلق فى أوساط الطبقات المقهورة والمستغلة (بفتح الغين) هو السلاح البتار فى معاركها من أجل الإطاحة بالاستغلال وإقامة العالم الجديد الذى لا يستطيع الطلاب وحدهم إقامته وإن أسهموا فى زحزحة القديم وهز أركانه الراسخة .. بفضح الأوهام التى ينطوى عليها.. إذن فلتحيا اليوتوبيا ..بهذا المعنى للآتى الجميل وإن كان سيأتى دائما مثل أى ميلاد مخضبا بالدماء .

خلخلة القائم ألم يكن هذا هو بالضبط ما فعلته ثورة الشباب على إمتداد المعمورة فى الستينيات حين إنتصرت لشعب فيتنام وأسهمت فى خروج الأمريكيين أذلاء مهزومين منها.. لكن لا ثورة الطلاب ولا انتصار فيتنام وكوبا والجزائر.. و.. و.. استطاع وحده حتى الآن أن يقوض أركان النظام الرأسمالى العالمى الذى اشتدت قبضته وهيمنته شراسة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، سوف تجدون وشائج خفية عليكم أن تكتشفوها بأنفسكم بين هذه القصة الجميلة وبين ذلك الفصل من كتاب المؤرخ الانجليزى« إريك هوبسباوم » الثورة الثقافية والذى نعيد نشره فى هذا العدد بسبب خطأ فادح وقع فى العدد الماضى لابد أننا سوف نتعلم منه أن نكون أكثر انضباطا وحرصا على« أدب ونقد » والتزاما إزاءها.

إن قصة « الأحداث » شأنها شأن كل نص أدبى غنى قد فجرت كل هده الأسئلة الكبيرة حول الثورة والتحرر واليوتوبيا بل إنها أيضا تحيتنا إلى انتفاضة الشعب الفلسطينى الذى يقاوم بالحجارة جيشا يستخدم ضده كل الأسلحة من البر والبحر والجو ولكنه عجز وسوف يعجز عن كسر إرادة التحرر والاستقلال لديه .. أو إرادة التضامن معه ودون أن ينخرط هؤلاء المتضامنون جميعا فى حلبة الرقص والأضواء

كما يتهمهم القاص« قاسم مسعد عليوة » فى نصه الغاضب القاسى فى هذا العدد« أيها الفلسطينى ..من عساه أن يرقص أفضل منا » ..ولشدة الغضب والألم المحض كاد « عليوة » أن يقترب من حالة عدمية ..كأن كل الناس ملامون لأنهم لا يموتون مع الفلسطينيين فى المجزرة. رغم أن حربا نظامية لم تقع ليتطوع لها آلاف عبروا عن رغبتهم تلك ..وكأن الكاتب يطلب من الذين يقومون بأعمال بسيطة لمساندة الانتفاضة أن يموتوا ولو حتى موتا مجانيا لأن المراكمة التى يقومون بها فى ساحة الوعى والعقل غير مجدية وكأن الجميع يتطلعون فقط لأضواء الإعلام.

إنه ألم الانهيارات الكبيرة على حد تعبير الروائى الكبير« عبد الرحمن منيف » فى الحوار المهم الذى أجراه معه فى سوريا ،أحمد الدويحى وخص به« أدب ونقد ».

يقول منيف: « فى وقت سابق فى الستينيات والسبعينيات كنا نتصور أن كل شئ أصبح ناضجا ،واقترب من التحقق الكامل ، من حيث الأحلام والأفكار والرغبات فى النفوس فى عالم بلا ظلم ،فى عالم تسوده العدالة واكتشفنا أن ما بيننا وبين تحقيق مثل هذه الأحلام مشوار طويل جداً ».

إنه المشوار الطويل الذى يبدأه بخطوة صغيرة كل هؤلاء الذين أبوا أن يقفوا متفرجين على المذبحة وأخذوا يمارسون المقاطعة ويدعون الناس لتكثيفها ويرسلون قوافل الطعام والدواء ويصدرون البيانات ،ويخاطبون المنظمات العالمية -حتى المعادية .. ولا يملون من شرح أبعاد القضية الفلسطينية التى زيفتها الحكاية الصهيونية. إنه التراكم البديل الوحيد لليأس والبكاء على الاطلال وإدانة كل شئ.

ولا بأس أن تصغر أحلامنا قليلا وإنما تكون قابلة للتحقيق ،وقابلة للاستمرار والتراكم »هكذا يقول منيف مرة أخرى.

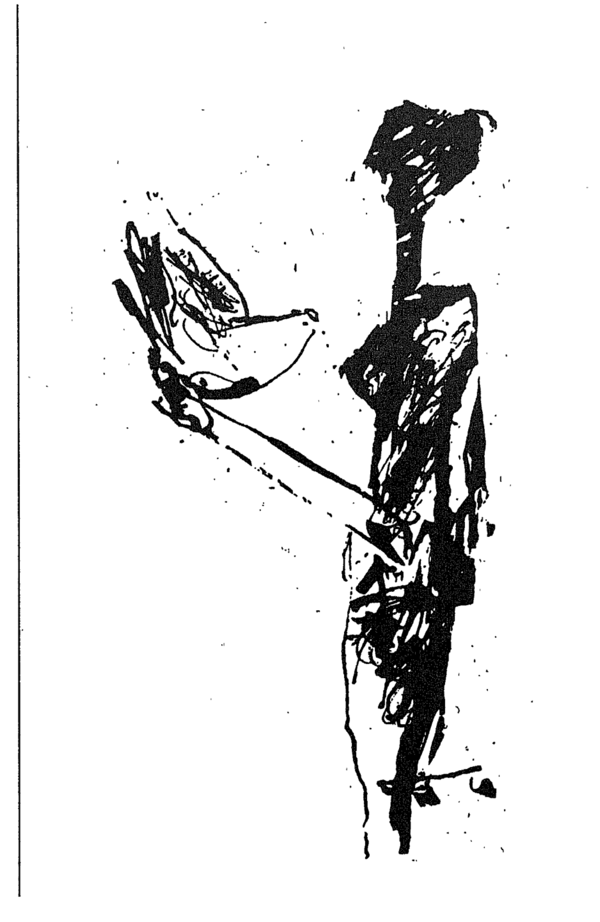
أما الديوان الصغير« هرة أبى » حكايات أرمنية من واقع حياة الأقلية الأرمنية فى سوريا فإنه إطلالة على عالم معزول جديد علينا وإن كان قد أخذ يحظى بالاهتمام شأنه شأن كل العوالم المعزولة والمظلومة سواء من السكان الأصليين فى كل أرجاء المعمورة ، أم الشعوب التى تعرضت للمذابح وعمليات الاستئصال والتهجير مثل الأرمن والفلسطينيين والأكراد الذين طردوا من أوطانهم ولاحقهم المستعمرون والمستوطنون حتى فى المنافى وأنكروا عليهم مطالبهم وهويتهم ومع ذلك قدمت هذه

الشعوب تضحيات هائلة عبر تاريخها وبقيت صامدة تدافع عن نفسها وهى تناشد الإنسانية جمعاء أن تتفهم قضاياها الحقيقية وألا تستمع فقط لحكايات المستعمرين والغاضبين الذين لم يندر أن يقدموا أنفسهم للعالم كمتحضرين فى مواجهة البرابرة والمتوحشين كما فعلت إسرائيل منذ نشأتها وحتى قبل نشأتها.. وأخيراً جدا وقبل أسابيع قليلة أقرت الجمعية الوطنية (البرلمان) فى فرنسا أن ما وقع ضد الأرمن من قبل الأتراك فى بداية القرن كان مذبحة حقيقية.. مطالبة تركيا بالاعتذار..

وها نحن نطل من زاوية تفاصيل الحياة البشرية اليومية على شعب حلت به المصائب ،وتعرض للشتات لكنه ظل يحكى الحكايات ويصنع الثقافة ويتطلع إلى العدالة وهو مشتت فى أنحاء المعمورة ..معزولا ومتوجسا من الغريب مستسلماً فى مواقعه الجبلية لبدائية الطبيعة كما تبين القصص التى سوف نلمس فى عمقها روحا ساخرة كأنها تتحدى الألم والخراب.

طالما قال« ياسر عرفات » رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية اننى أخشى على الفلسطينيين من مصير الأرمن.. أى الشتات الأبدى.. فهل نستطيع أن نقول له بثقة .. لا .. لا تخشى ذلك.. فالأمر يختلف..

إنه فعلا يختلف وإن كان الألم واحدا كأنه موزع بالعدل بين الشعوب المقهورة .المتطلعة للتحرر..مع أول مايو سوف يحتفل العمال فى كل أرجاء الدنيا بعيدهم وهم يتعرضون للمزيد من النهب الكثيف من الرأسمالية لكنهم يقاومون ..فلتحيا المقاومة..



الثورة الثقافيـــة الشبابية
(عندما أصبح الهواء قليلا)



تأليف : إريك هوبسباوم
ترجمة: د. شهرت العالم

الفصل الحادى عشر من كتاب اريك هوبسباوم Eric hobsbawm بعنوان: From the Extremes، والعنوان الأصلى للفصل هو Culture Revolution.

نشرت أدب ونقد هذا الموضوع الهام فى عددها الماضى ،وللأسف الشديد وقع فيه اختلاط مسئ فى ترقيم الصفحات ،مما أضر بالموضوع. هنا ،نعيد نشره ويعتذر مدير التحرير للمترجمة د. شهرت العالم، وللقراء. (ح. س)

فى الفيلم، تؤدى كارمن مورا دور رجل أجرى عملية تغيير لجنسه؛ وبسبب علاقة حب تعيسة مع والده/والدها، هجر/هجرت الرجال ودخل/دخلت فى علاقة جنسية مثلية مع امرأة (حسب تخمينى)، يقوم بأداء دورها أحد مُخنثى اللباس المشهورين فى مدريد.

تعليق على أحد الأفلام، منشور فى "Village Voice"، بقلم بول برمان (١٩٨٧، ص ٥٧٢).

التظاهرات الناجحة ليست بالضرورة تلك التظاهرات التى تحشد أكبر عدد من الناس، بل التى تجذب أكبر اهتمام بين الصحفيين. ويمكن القول، بقليل من المبالغة، إن خمسين من الأفراد الماهرين الذين يتمكنون من الحصول على عرض مدته خمس دقائق على شاشة التلفزيون لأى "حدث" ناجح، يمارسون تأثيراً سياسياً يماثل التأثير الذى يُحدِثه نصف مليون متظاهر.

(Pierre Bourdieu, 1994)



إن أفضل مقاربة لهذه الثورة الثقافية تتخذ سبيلها، من ثم،من خلال الأسرة family والأسرة المعيشية household (أى من خلال بنية العلاقات بين الجنسين والعلاقات بين الأجيال. لقد كانت هذه المسألة تمثل، فى أى مجتمع، نوعاً من المقاومة المؤثرة إزاء أى تغيير مفاجئ ، لكن ذلك لا يعنى أن تلك البُنى كانت ساكنة أو مفتقدة للحركة والتغير. وعلاوة على ذلك، كانت تلك الأنماط تمتد على نطاق عالمى – رغم ما يبدو من مظهر عكسى – أو على الأقل تجمع بينها أوجه تشابه أساسية عبر مناطق شاسعة. هذا، على الرغم من وجهة النظر القائلة بوجود اختلاف رئيسى بين أوراسيا (بما فى ذلك جانبى البحر المتوسط) من ناحية، وباقى أفريقيا من الناحية الأخرى (Goody, 1990VII, ؛ وهى وجهة نظر تقوم على أسس اجتماعية اقتصادية وتكنولوجية. وبالتالى، فإن تعدد الزوجات – الذى يُقال إنه كان غائباً تماماً أو أصبح كذلك فى أوراسيا، ماعدا بالنسبة للمجموعات المتميزة بوجه خاص فى العالم العربى – قد ازدهر فى أفريقيا، حيث قيل إن تعدد الزوجات كان يشمل أكثر من رُبع الزيجات (Goody, 1990, p. 379).

وعلى الرغم من ذلك، فقد تقاسمت الأغلبية الساحقة من البشر، عبر كافة اختلافاتها، عدداً من السمات المشتركة مثل: الزواج الرسمى وتميُز العلاقة الجنسية بين الزوجين (إذ يُعتبر "الزنا" جريمة فى كافة أنحاء العالم)؛ واعتبار الأزواج أعلى مرتبة بالنسبة للزوجات ("النزعة الأبوية")، والآباء بالنسبة للأطفال، والكبار بالنسبة للأجيال الشابة؛ واشتمال الأسر المعيشية على عديد من الأفراد ... إلى آخره. ومهما بلغ مدى تعقُد شبكة القرابة وما تشتمل عليه من حقوق والتزامات متبادلة، فقد كان

البيت النووى - الزوجان وأطفالهما - موجوداً بشكل عام فى مكان ما، حتى عندما كان البيت المشترك، أو كانت المجموعة أو الأسرة المعيشيّة المتعاونة، أكبر حجماً. لقد أصبحت الأسرة النووية نموذجاً قياسياً بالمجتمع الغربى فى القرنين التاسع عشر والعشرين. ولذا، فإن فكرة تطور الأسرة النووية، بصورة ما، من أسرة أكبر ووحدات قرابة أكبر، كجزء من نمو البرجوازية أو أى نزعة فردية أخرى، إنما ترتكز على سوء فهم تاريخى ليس أقله طبيعة التعاون الاجتماعى والمنطق القابع خلفه فى مجتمعات ما قبل الصناعة. وحتى فى مؤسسة شيوعية مثل "زادروجا" (أو الأسرة المشتركة)، وهى مؤسسة سلافية فى البلقان، نجد أن "كل امرأة تعمل من أجل أسرتها بالمعنى الضيق للكلمة، وتحديداً زوجها وأولادها، ولكنها أيضاً، عندما يأتى دورها، تعمل من أجل أعضاء الجماعة (community) غير المتزوجين والأيتام" (Guidetti/Stahl, 1977, p. 58) إن وجود مثل هذه الأسرة ونواة الأسرة المعيشية النووية لا يعنى بالطبع أن مجموعات أو مجتمعات الأقارب - التى تضم هذه الأسرة - تتشابه فى جوانب أخرى.

ومع ذلك، بدأت هذه الترتيبات الأساسية، التى امتدت لفترة زمنية طويلة، تشهد تغيُراً متسارعاً خلال النصف الثانى من القرن العشرين فى البلدان الغربية "المتقدمة"، وإن كان تغيُراً متفاوتاً حتى داخل تلك المناطق. ففى انجلترا وويلز عام ١٩٣٨ - ولايمكن إنكار دراميـة هذا المثال - كانت تحدث حالة طلاق واحدة لكل ٥٨ زيجة(Mitchell, 1975, p. 30-32)، فى حين بلغ المعدل فى منتصف الثمانينيات حالة طلاق واحدة لكل ٢ر٢ زيجة جديدة (UN Statistical Yearbook, 1987). وبالإضافة إلى ذلك، يمكننا أن نشهد تسارع هذا الاتجاه فى الحياة المشتركة الحرة بأعوام الستينيات. ومع نهاية السبعينيات، ارتفع المعدل إلى أكثر من ١٠ حالات طلاق لكل ١٠٠٠ زواج فى انجلترا وويلز، أى مايزيد بخمس أضعاف عما كانت عليه الحال عام ١٩٦١ (Social Trends, 1980, p. 84).

لم يكن هذا التوجه مقصوراً على بريطانيا. ويمكن، بطبيعة الحال، رؤية هذا التغير الدرامى بوضوح فى البلدان ذات الأخلاقيات التقليدية المفروضة بقوة، مثل البلدان الكاثوليكية. ونجد فى بلچيكا وفرنسا وهولندة أن المعدل الخام للطلاق (عدد حالات الطلاق سنوياً لكل ألف من السكان) قد ارتفع بمقدار ثلاثة أضعاف تقريباً بين عامى ١٩٧٠ و١٩٨٥. ومع كل، فحتى فى البلدان ذات التقاليد المتحررة فى مثل هذه الأمور - مثل الدنمارك والنرويج - كان يمكن أن يرتفع المعدل بمقدار الضعف، أو تقريباً الضعف، فى نفس الفترة. وكان واضحاً أن شيئاً غير عادى يحدث بالنسبة للزواج فى الغرب. فالنساء اللاتى ترددن على عيادات أمراض النساء فى كاليفورنيا فى

السبعينيات قد أبدين "انخفاضاً جوهرياً فى الزواج الرسمى، وتقلصاً فى الرغبة فى الأطفال ... وتحولاً سلوكياً بشأن قبول التكيف ثنائى الجنس" (Esman, 1990, p. 67). ولم يكن من المرجح أن يتم تسجيل رد الفعل هذا من قطاع عرضى من النساء فى أى مكان، حتى كاليفورنيا، قبل ذلك العقد.

لقد تزايدت أيضاً أعداد الأفراد الذين يعيشون بمفردهم (أى ليسوا أعضاءً فى علاقة زوجية أو أسرة أكبر). فى بريطانيا، ظل عددهم على ماهو عليه خلال الثُلث الأول من القرن، بمعدل يبلغ ٦٪ لكل الأسر المعيشية، ثم اتجه نحو الارتفاع قليلاً بعد ذلك. ومع كل، تضاعفت النسبة، خلال الفترة ١٩٦٠ - ١٩٨٠، من ١٢٪ إلى ٢٢٪ تقريباً لكل الأسر المعيشية؛ ثـم ارتفع المعدل إلى مايزيد على الرُبع مع حلول عام ١٩٩١ (Abrams, Carr- Saunders, Social Trends, 1993, p. 26). وفى كثير من المدن الكبيرة فى الغرب ، كان هؤلاء الأفراد يشكلون حوالى نصف كل الأسر المعيشية. وعلى العكس من ذلك، كانت الأسرة النووية الغربية الكلاسيكية - الزوجان وأطفالهما - تشهد تراجعاً واضحاً. لقد انخفض معدل هذه الأسر فى الولايات المتحدة من ٤٤٪ من كل الأسر المعيشية إلى ٢٩٪، وذلك فى فترة ٢٠ عاماً (١٩٦٠-١٩٨٠). وفى السويد - حيث كان نصف المواليد تقريباً خلال الثمانينيات لنساء غير متزوجات (World's Women, p. 16) - انخفض المعدل من ٣٧٪ إلى ٢٥٪. وقد أصبحت الأسر النووية أقلية واضحة، حتى فى البلدان المتقدمة التى كانت هذه الأسر تُمثل فيها نصف أو أكثر كل الأسر المعيشية عام ١٩٦٠ (مثل كندا، وألمانيا الفيدرالية، وهولندة، وبريطانيا).

وفى حالات معينة، كفت هذه الأسر عن أن تكون نمطية حتى من حيث الاسم. ففى عام ١٩٩١، كانت المرأة تتولى منفردة قيادة ٥٨٪ من مجموع أُسر السود فى الولايات المتحدة، كما كان ٧٠٪ من مجموع الأطفال ينتمون لنساء منفردات. أما فى عام ١٩٤٠، فقد كانت الأمهات المنفردات يتولين قيادة ٣ر١١٪ فقط من الأسر "غير البيضاء"؛ وحتى فى المدن بلغت النسبة ٤ر١٢٪ فقط (Franklin Frazier, 1957, p. 317). وحتى فى عام ١٩٧٠، بلغت النسبة ٣٣٪ فقط (New Yourk Times, 5/10/92).

لقد ارتبطت أزمة الأسرة بتغير كبير إلى حد ما فى المعايير العامة التى تحكم السلوك الجنسى، والشراكة، والإنجاب. وكانت المسألة على مستويين: رسمى وغير رسمى. وهناك بيانات توضح التغير الرئيسى على المستويين، وتتطابق مع بيانات الستينيات والسبعينيات. من الناحية الرسمية، كان العصر استثنائياً من زاوية الليبرالية فى مجال العلاقات الجنسية، سواء بين الجنسين (وأساساً بالنسبة للمرأة التى تمتعت بقدر من الحرية أقل من الرجل)، أو فى حالة علاقات الجنسية المثلية.

ويصدق نفس الشئ على أشكال اختلاف الرأى الثقافية-الجنسية الأخرى. ونجد فى بريطانيا أن غالبية علاقات الجنسية المثلية لم تكن مُجَرَّمة خلال النصف الثانى من الستينيات، أى بعد الولايات المتحدة بسنوات قليلة، حيث كانت ولاية إلينوى أول ولاية تجعل علاقات المثلية الجنسية بين الذكور قانونية فى عام ١٩٦١ (Gohansson Percy, ., p. 304, 1349) وفى إيطاليا البابا، أصبح الطلاق قانونياً عام ١٩٧٠، وهو حق تأكد عبر استفتاء فى عام ١٩٧٤. وقد أصبح بيع وسائل منع الحمل وتوفير معلومات عن تنظيم الولادات قانونياً عام ١٩٧١. وفى عام ١٩٧٥، حل قانون جديد للأسرة محل القانون القديم الذى كان مستمراً منذ فترة الفاشية. وأخيراً، أصبح الإجهاض قانونياً عام ١٩٧٨، ثم تأكد عبر استفتاء فى عام ١٩٨١.

ودون شك، أدت القوانين المتساهلة إلى تيسير الأفعال التى كانت محظورة حتى ذلك الحين، كما أسهمت فى انتشارها. ومع ذلك، فقد كان القانون بمثابة اعتراف بالمناخ الجديد - االذى يتسم بالتساهل فى مجال العلاقات الجنسية - وليس خالقاً لهذا المناخ. ففى أعوام الخمسينيات، بلغت نسبة النساء البريطانيات اللاتى عِشن لفترة من الوقت مع أزواجهن قبل الزواج ١٪ فقط؛ ولم يكن ذلك راجعاً إلى التشريع. كما لم يكن التشريع أيضاً سبباً فى أن ٢١٪ من النساء البريطانيات فعلن نفس الشئ فى باكورة الثمانينيات (Gillis, 1985, p. 307). وقد أصبحت الأمور الآن مُباحة بعد أن كانت محظورة، ليس بالقانون والدين فحسب، وإنما أيضاً بالأخلاقيات العُرفية والعادات ورأى المحيط المجاور.

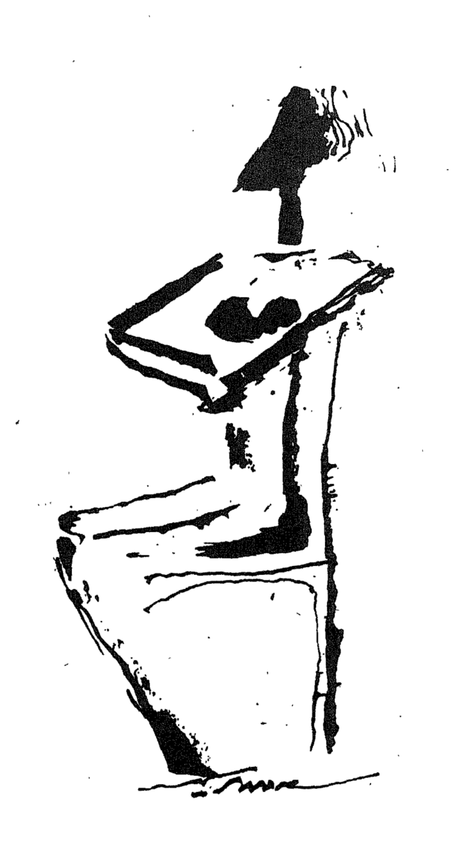
وبطبيعة الحال، لم تؤثر هذه الاتجاهات على مناطق العالم المختلفة بنفس القدر. فبينما ارتفعت معدلات الطلاق فى جميع البلدان التى كان مُتاحاً فيها (إذا افترضنا مؤقتاً أن الإنتهاء الشكلى للزواج عن طريق إجراء رسمى له نفس المعنى فى جميع هذه البلدان)، أصبح الزواج أقل استقراراً فى بلدان أخرى. لقد ظل استمراره متواصلاً فى البلدان الرومانية الكاثوليكية (غير الشيوعية)، فى أعوام الثمانينيات. وكان الطلاق أقل انتشاراً فى شبه الجزيرة الأيبيرية وفى إيطاليا، بل وحتى أقل ندرة فى أمريكا اللاتينية، حتى فى البلدان التى تفتخر بثقافتها الرفيعة: حالة طلاق واحدة لكل ٢٢ زيجة فى المكسيك، ولكل ٣٣ زيجة فى البرازيل (ولكن المعدل فى كوبا كان حالة طلاق واحدة لكل ٢ر٥ زيجة). وظلت كوريا الجنوبية تقليدية على نحو استثنائى، رغم كونه بلداً سريع الحركة (حالة طلاق واحدة لكل ١١ زيجة). ومع كل، فحتى اليابان - فى باكورة الثمانينيات - بلغ معدل الطلاق فيها أقل من رُبع المعدل لدى الفرنسيين، وأقل كثيراً عن المعدل لدى البريطانيين والأمريكيين الذين يلجأون إلى الطلاق بسهولة.

وحتى فى العالم الاشتراكى (حينذاك)، كان الوضع يشتمل على تغيرات عديدة – رغم أنها كانت أقل مما عليه الحال فى ظل الرأسمالية – ماعدا بالنسبة للاتحاد السوفيتى، حيث كان ترتيبه الثانى بعد الولايات المتحدة فيما يتعلق باستعداد مواطنيه لتحطيم زيجاتهم (UN World Social Situation, 1989, p. 36). ولاتثير هذه التغيرات الدهشة. الأمر الذى كان، ومايزال، يتسم بالأهمية أن نفس هذه التغيرات – سواء كانت كبيرة أم صغيرة – يمكن اقتفاء أثرها عبر عالم "التحديث" برمته. وأكثر المجالات لفتاً للنظر، فى هذا السياق، هو مجال الثقافة الشائعة لدى عامة الشعب، أو لمزيد من التحديد: الثقافة الشبابية.

٢

ففى حالة الطلاق، يشير وجود أطفال غير شرعيين، وبروز الأسرة المعيشية ذات الوالد الواحد (وبشكل ساحق: الأم المنفردة)، إلى وجود أزمة فى العلاقة بين الجنسين. كما أن بروز ثقافة شبابية خاصة وقوية بصورة فريدة يشير إلى حدوث تغيير عميق فى العلاقة بين الأجيال. إن الشباب هو مجموعة واعية ذاتياً تمتد عُمرياً من فترة البلوغ – وهى أكثر تبكيراً بعديد من السنوات فى البلدان المتقدمة عن الأجيال السابقة (Tanner, 1962, p. 153) – إلى منتصَف عشرينيات العُمر. لقد أصبح الشباب الآن هيئة اجتماعية مستقلة. وتتمثل أهم التطورات السياسية، وخاصة فى الستينيات والسبعينيات، فى عمليات حشد الفرق الشبابية التى حققت، فى البلدان الأقل تسييساً، ثروات من صناعة الاسطوانات. لقد كان ٧٥–٨٠٪ من إنتاجها، وتحديداً موسيقى الروك، يُباع كله تقريباً إلى شباب فى الفترة العمرية ١٤–٢٥ سنة (Hobs-bawm, 1993, p. xxviii-xxix). إن التجذير السياسى الذى شهدته أعوام الستينيات، وكان متوقعاً من جانب فرق أصغر من المعارضين والمنشقين فى الميدان الثقافى تحت عناوين مختلفة، كان ينتمى إلى هؤلاء الشباب الذين رفضوا اعتبارهم أطفالاً أو حتى مراهقين (أى كباراً غير مكتملى النضج)، فى حين أنكروا الإنسانية الكاملة على الأجيال التى يزيد عمر أعضائها على ثلاثين عاماً، ماعدا بالنسبة للقادة الفكريين.

وفيما عدا الصين – حيث قام ماو بحشد القوات المُجندة الشبابية نحو واقع مروع (راجع الفصل ١٦) – كان الراديكاليون الشباب، بقدر قبولهم للقادة، يخضعون لقيادة الأعضاء فى مجموعة أقرانهم. ويصدق ذلك بجلاء على الحركات الطلابية فى كافة أنحاء العالم. ومع ذلك، وأينما كانت تنبعث الانتفاضات العمالية الضخمة، كما حدث فى فرنسا وإيطاليا فى ١٩٦٨–١٩٦٩، كانت المبادرة تأتى أيضاً من شباب العمال. ولم يكن بمقدور أحد لديه حتى الحد الأدنى من خبرة حدود الحياة الحقيقية، أى لم يكن بمقدور أى



فرد بالغ بالفعل، أن يصوغ ابهذه الثقة والحسم تلك الشعارات غير العقلانية التى انطلقت فى آيام مايو ١٩٦٨ الباريسية أو "الخريف الساخن" الإيطالى لعام ١٩٦٩: حين اندلعت ثورة االشباب ومعها شعار "tutto e subito" - مثل إننا نريد كل شئ، ونريده الآن (Albers / Goldschmidt / Oehlke, pp. 59, 184).

إن "الاستقلال الذاتى" الجديد للشباب كشريحة اجتماعية منفصلة كان يُرمز له بظاهرة ربما لم يكن لها ما يوازيها، عند هذا المستوى، منذ العصر الرومانسى فى باكورة القرن التاسع عشر: البطل الذى حياته وشبابه انتهيا معاً. إن هذه الشخصية، التى ابتكرها فى الخمسينيات النجم السينمائى چيمس دين، كانت شائعة، وربما حتى مثالية نمطياً، فيما أصبح التعبير الثقافى الميَز للشباب - موسيقى الروك. هناك بادى هولى، وچانيس چوپلين، وبرايان چونس من فريق "رولينج ستونز"، وبوب مارلى، وچيم هيندريكس، وعدد من الشخصيات المحبوبة جماهيرياً، قد وقعت جميعاً ضحايا لنمط الحياة المؤدى إلي موت المبكر. إن ما أضفى طابعاً رمزياً على هذه الوفيات أن الشباب، الذى كانت هذه الشخصيات تمثله، كان مؤقتاً بالتعريف وبالمهنة فيمكنك احتراف التمثيل كمهنة طوال حياتك، لكنك لا يمكنك أن تظل الفتى الأول إلى الأبد.

ومع ذلك، ورغم أن الانتماء لفترة الشباب يتغير دائماً - "جيل" الطلاب ينتهى بعد مجرد ثلاث أو أربع سنوات - فإن صفوف العضوية لهذه المرحلة عادة ما يُعاد شغلها. لقد كان الإقرار بظهور المُراهِق/المراهِقة كفاعل اجتماعى واعٍ ذاتياً يتزايد وبحماسة شديدة من جانب صُناع السلع الاستهلاكية، وأحياناً بصورة أقل تلقائية من جانب الأكبر منه/منها سناً؛ إذ وجدوا أن المسافة تتسع بين أولئك المستعدين لقبول صفة "الطفل" وأولئك الذين يصرون على صفة "البالغ". ونجد فى منتصف الستينيات أنه حتى حركة بادن باول، صبى الكشافة الإنجليزى، قد أسقطت الجزء الأول من اسمه كنوع من التنازل أمام المِزاج السائد فى تلك الفترة، واستبدلت بقبعة الكشاف القديم المشهورة البيريه ذى الحافة الأقل نتوءاً (Gillis, 1974, p. 197).

إن المجموعات العُمرية لا تُعتبر شيئاً جديداً فى المجتمعات. وحتى فى الحضارة البرجوازية، تم الاعتراف بتلك الشريحة التى تضم أولئك الناضجين جنسياً، لكنهم مايزالون فى مرحلة النمو البدنى والفكرى ويفتقدون خبرة الحياة لدى الكبار. ولا-يُغير من الأمر شيئاً أن هذه المجموعة أصبحت تصل إلى بداية سن البلوغ والحد الأقصى من ارتفاع القامة فى فترة أكثر تبكيراً عن السابق (Floud et al., 1990). ولم يؤد ذلك إلا إلى إحداث توتر بين الشباب وأولياء أمورهم ومُدرسيهم، الذين يُصرون على معاملتهم باعتبارهم أقل نماءً عما يشعرون به تجاه أنفسهم. لقد كانت الأوساط البرجوازية

تتوقع أن شبابها من الرجال - باعتبارهم متمايزين عن شاباتها من النساء - سوف يمرون خلال مرحلة من الاضطراب و"بذر" بذور "الشوفان" البرى الخاصة بهم. إن الجديد فى الثقافة الشبابية الجديدة كان ثلاثى الأبعاد.

أولاً، لم تكن مرحلة "الشباب" تُعتبر مرحلة تمهيدية فى فترة البلوغ، ولكنها كانت تُعتبر - بمعنى ما - مرحلة نهائية للتطور الإنسانى الكامل. لقد كانت الحياة تنحدر بوضوح بعد سن الثلاثين، مثلها فى ذلك مثل النشاط الرياضى، وهو النشاط الإنسانى الذى يبدو خلاله الشباب أكثر بروزاً، كما أنه يحدد الآن طموحات مزيد من البشر أكثر من أى شئ آخر. وفى أحسن الأحوال، يقل الاهتمام به بعد هذه السن. وهناك دليل آخر لطريقة تنظيم العالم على نحو غير مُرض، يتمثل فى أن الفكرة السابقة لاتتوافق والواقع الاجتماعى الذى تنامت خلاله، مع تزايد السن (باستثناء النشاط الرياضى، وبعض أشكال الترفيه، وربما الرياضيات البحتة)، القوة والنفوذ والإنجاز، فضلاً عن الثروة. وحتى سنوات السبعينيات، كان عالم مابعد الحرب محكوماً بواسطة الشيوخ بدرجة أكبر مما كانت عليه الحال فى الفترات المبكرة، وتحديداً بواسطة الرجال - بالكاد بواسطة النساء حتى الآن - الذين كانوا كباراً بالغين عند نهاية الحرب العالمية الأولى، أو حتى لدى بدايتها. وهو الأمر الذى ينطبق على كلٍ من العالم الرأسمالى (أديناور، ديجول، فرانكو، تشيرشل) والعالم الشيوعى (ستالين وخروتشوف، ماو، هوشى منه، تيتو)، كما ينطبق أيضاً على الدول الكبيرة فى مرحلة مابعد الكولونيالية (غاندى، نهرو، سوكارنو). إن وجود قائد يقل سنه عن الأربعين كان أمراً نادراً حتى فى النُظم الثورية التى ظهرت نتيجة للانقلابات العسكرية - وهو نمط من التغيير السياسى عادة ما يقوم به ضباط صغار نسبياً، لأن ما لديهم ويمكن أن يفقدوه يقل عما لدى الضباط الكبار. ومن هنا ينبع قدر كبير من تأثير فيدل كاسترو على المستوى الدولى، وقد تولى زمام السلطة وهو يبلغ من العمر ٣٢ عاماً.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت هناك امتيازات صامتة، وربما ليست دائماً واعية، من جانب مؤسسات الكبار لتجديد شباب المجتمع، ليس أقلها ما قامت به الصناعات المزدهرة فى مجال مستحضرات التجميل والعناية بالشعر والصحة الشخصية، والتى استفادت - على نحو متفاوت - من الثروة المتراكمة لدى قليل من البلدان المتقدمة.(١) ومنذ نهاية الستينات، ظهر ميل نحو خفض سن التصويت إلى ١٨ سنة - كما فى الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا - فضلاً عن بعض علامات بشأن خفض سن الإدراك بالنسبة للعلاقات الجنسية (بين الجنسين). ومن المفارقات الملحوظة أن زيادة طول فترة العُمر المتوقع أدت إلى زيادة نسبة كبار السن، على الأقل

بين الطبقات العليا والوسطى المحظوظة، كما تأخرت مرحلة الانحدار إلى الشيخوخة، وأصبح الوصول إلى سن التقاعد أسرع؛ أما فى الأوقات العصيبة، فقد أصبح "التقاعد المُبكر" أسلوباً مُفضلاً لتقليص نفقات العمالة. وقد وجد مديرو الأعمال، الذين تزيد أعمارهم على ٤٠ سنة، صعوبة فى إيجاد وظائف جديدة (تماثل الصعوبة التى وجدها العمال اليدويون وفئات الياقات البيضاء).

البُعد الجديد الثانى، المتعلق بالثقافة الشبابية، ينبع من البعد الأول: كان الشباب، أو أصبح، سائداً فى "اقتصادات السوق المتطورة". ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه كان يمثل كتلة متمركزة من القوة الشرائية، وجزئياً لأن كل جيل جديد من الكبار البالغين كان قد تربى باعتباره جزءاً من الثقافة الشبابية الواعية ذاتياً وحمل علامات هذه الخبرة، ليس أقلها أن سرعة التغير التكنولوجى المذهلة قد أعطت الشباب أفضلية بالفعل، يمكن قياسها، بالنسبة للأعمار الكبيرة نسبياً والتى تميل إلى المحافظة أو على الأقل عدم القابلية للتكيف. وبغض النظر عن البنية العُمرية لإدارة شركتى "آى. بى. إم" أو "هيتاشى"، فقد جاء تصميم الحاسبات الالكترونية والبرامج الجاهزة الجديدة على أيدى شباب فى العشرينيات من العُمر. وحتى عندما ثبُت أن هذه الأجهزة والبرامج مجرد أدوات غبية – بما يبعث على الأمل – فإن الجيل الذى لم يكن نموه مواكباً لها، كان واعياً بدونيته بالفعل بالنسبة للأجيال التى نشأت وتربت معها. إن ما يمكن أن يتعلمه الأطفال من الآباء قد أصبح أقل وضوحاً بالنسبة لما لايعرفه الأباء، ويتعلمونه من الأبناء. لقد أصبح دور الأجيال معكوساً. ونجد أن بنطلونات الجينز – وهى اللباس الشائع عن قصد الذى أصبحت له الريادة فى الجامعات الأمريكية من جانب الطلاب غير الراغبين فى أن يبدو مظهرهم مشابهاً لمظهر الكبار – قد بدأت فى الظهور خلال أيام أجازة نهاية الأسبوع والعطلات، أو حتى فى المواقع "الإبداعية" فى أماكن العمل، يرتديها كثيرون من أصحاب الشعر الرمادى.

أما البُعد الجديد الثالث فى الثقافة الشبابية الجديدة فى المجتمعات الحضرية، فهو تدويلها الذى يصل إلى درجة مذهلة. لقد أصبح الجينز، كما أصبحت موسيقى الروك، علامات تدل على الشباب "الحديث" (المودرن)، وعلى الأقليات المُقدر لها أن تصبح أغلبيات، وذلك فى جميع البلدان التى أجازتهما رسمياً وفى بعض البلدان التى لم تجزهما رسمياً، كما هى الحال فى الاتحاد السوفيتى بدءاً من الستينيات وما بعدها (Starr, 1990, Chapters 12 to 13). إن كلمات اللغة الانجليزية التى استُخدِمت لنظْم الشعر الغنائى لموسيقى الروك لم تتم أبداً ترجمتها. وهو الأمر الذى كان يعكس الهيمنة الثقافية الساحقة للولايات المتحدة على الثقافة وأنماط الحياة الشائعة، رغم ضرورة

الإشارة إلى أن جوهر الثقافة الشبابية الغربية كان النقيض للشوفينية ثقافياً، وخاصة فى الأذواق الموسيقية. لقد رحبوا بالأنماط المستوردة من منطقة الكاريبى وأمريكا اللاتينية؛ ومنذ الثمانينيات، تزايد ترحيبهم بالأنماط المستوردة من أفريقيا.

ولم تكن هذه الهيمنة الثقافية بجديدة، ولكن أسلوب عملها قد تغير. لقد كان توجهها الأساسى، فى الفترة الواقعة بين الحربين، يتمثل فى صناعة الفيلم الأمريكية، وهى الصناعة التى تحظى بتوزيع عالمى ضخم. وكان يشاهدها جمهور من مئات الملايين، وصل حجمه إلى أقصاه بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. ومع نهوض التلفزيون والإنتاج السينمائى العالمى، ومع نهاية نظام ستديو هوليود، فقدت تلك الصناعة الأمريكية بعضاً من هيمنتها وكثيراً من جمهورها. لقد أنتجت فى عام ١٩٦٠ ما لم يزد على سُدس الإنتاج السينمائى العالمى، حتى بدون حساب اليابان والهند (UN Statistical Yearbook, 1961)، رغم أنها أخذت تستعيد أخيراً كثيراً من هيمنتها. فإن الولايات المتحدة لم تنجح أبداً فى تحقيق السيطرة على أسواق التلفزيون الضخمة شديدة التنوع من زاوية اللغة. لقد انتشرت أنماطها الشبابية، إما بصورة مباشرة أو من خلال تكبير إشاراتها عبر بريطانيا كموقع ثقافى فى منتصف الطريق، وذلك عن طريق نوع غير رسمى من النفاذ بالتثاقف والامتزاج. وقد انتشرت من خلال الاسطوانات، وبعد ذلك شرائط التسجيل؛ وكان وسط الترويج الأساسى لها – فى ذلك الحين، وكما كانت الحال سابقاً، وكما أصبح فيما بعد – هو المذياع عتيق الطراز. كما انتشرت من خلال التوزيع العالمى للصور؛ ومن خلال الاتصالات الشخصية عبر السياحة الشبابية، التى أدت إلى دخوله تدفقات صغيرة، وإن كانت متنامية، من الشباب من الجنسين، يرتدون الجينز، إلى جميع أنحاء العالم؛ ومن خلال الشبكة العالمية للجامعات، التى برزت فى الستينيات قدرتها على تنمية الاتصالات الدولية السريعة. وليس أقل من ذلك أنها انتشرت من خلال قوة "الموضة" فى المجتمع الاستهلاكى، والتى وصلت الآن إلى الجماهير بقدر من المبالغة يرجع إلى الضغوط القائمة داخل مجموعات الأقران. لقد ظهرت للوجود ثقافة شبابية عالمية.

هل كان يمكن أن تظهر فى أى فترة أخرى أكثر تبكيراً؟ كلا بالتأكيد. كانت دائرة أنصارها ستكون أصغر كثيراً، سواء نسبياً أم بشكل مطلق، إذ أن إطالة التعليم بحيث يستغرق كل الوقت – وخاصة مع وجود عدد كبير من الشباب والشابات يختلطون معاً كمجموعة عُمرية فى الجامعات – قد أسهم فى توسعها بدرجة كبيرة. وعلاوة على ذلك، حتى الشباب المراهق الذى دخل سوق العمل لكل الوقت فى سن مغادرته للمدرسة (يتراوح بين ١٤ و١٦ سنة فى بلد "متقدم" نمطى)، كان يمتلك قوة مستقلة

للإنفاق تفوق كثيراً ما كان لدى من سبقوه، وذلك بفضل ما تحقق من ازدهار وتوظيف كامل فى ظل العصر الذهبى؛ وبفضل الازدهار الذى حققه آباؤهم وجعل احتياجهم إلى مساهمة أبنائهم فى ميزانية الأسرة أقل. لقد كان اكتشاف هذه السوق الشبابية فى منتصف الخمسينيات هو الذى أدى إلى تثوير تجارة الموسيقى الشبابية الحديثة - موسيقى البوب (pop) - فضلاً عن نهاية السوق الضخم فى أوروبا المتعلقة بصناعة "الموضة". إن "ازدهار سن المراهقة" فى بريطانيا، حيث بدأ فى تلك الفترة، كان يرتكز على التمركز الحضرى للفتيات اللاتى يحصلن على أجور عالية نسبياً فى المكاتب والمحلات التى أخذت تنتشر، إذ امتلكن قدراً من النقود للإنفاق أكثر مما لدى الفتيان، كما كانت الفتيات فى تلك الأيام أقل ارتباطاً بالأنماط الذكورية التقليدية للإنفاق (البيرة والسجائر). إن الازدهار قد "كشف بداية عن قوته فى المجالات التى برزت فيها مشتروات الفتيات، مثل البلوزات، والتنورات، ومستحضرات التجميل، واسطوانات موسيقى البوب" (Allen, 1968, pp. 62-63)، ناهيك عن حفلات البوب الموسيقية التى كانت الفتيات أشهر حاضريها وأكثرهم استماعاً. ويمكن قياس قوة هذا المال الشبابى من خلال مبيعات الاسطوانات فى الولايات المتحدة، حيث ارتفعت من ٢٧٧ مليون دولار عام ١٩٥٥، عندما ظهر الروك، إلى ٦٠٠ مليون دولار عام ١٩٥٩، ثم إلى بليونين عام ١٩٧٣ (Hobsbawm, 1993, p, xxix). لقد كان كل عضو فى مجموعة عمرية تضم أفراداً تتراوح أعمارهم من ٥ إلى ١٩ سنة فى الولايات المتحدة ينفق فى عام ١٩٧٠ على الاسطوانات ما يعادل خمسة أضعاف المعدل عام ١٩٥٥. وكلما كان البلد أغنى، كلما تعاظمت تجارة الاسطوانات: أنفق شباب الولايات المتّحدة، والسويد، وألمانيا الغربية، وهولندة، وبريطانيا مايزيد بمقدار ٧-١٠ أضعاف للفرد عن شباب البلدان الأفقر وإنما ذات نمو متسارع، مثل إيطاليا وأسبانيا.

إن قوة السوق المستقلة قد جعلت من الأيسر بالنسبة للشباب اكتشاف الرموز المادية أو الثقافية للهوية. ومع كل، فما أدى إلى زيادة حِدة الخطوط العريضة لهذه الهوية كان الفجوة التاريخية الضخمة التى فصلت بين أجيال ما قبل عام ١٩٢٥ تقريباً، وبين أجيال ما بعد عام ١٩٥٠ تقريباً. إنها فجوة أكبر كثيراً من تلك الفجوة التى كانت تفصل بين الآباء والأبناء فى الماضى. لقد أصبح الآباء الذين لديهم أبناء مراهقين يعون ذلك بالفعل خلال الستينيات وبعدها. لقد عاش الشباب فى مجتمعات منقطعة الصلة بماضيها، سواء أكانت قد شهدت تحولاً عن طريق ثورة، كما حدث فى الصين أو يوغوسلافيا أو مصر؛ أم عن طريق غزو واحتلال، كما فى ألمانيا واليابان؛ أو

عن طريق التحرر من الكولونيالية. إنهم لايملكون ذاكرة حول عصر ما قبل الطوفان. وربمابإستثناء الخبرة المشتركة لحرب وطنية كبرى - مثل ترابط الكبار والصغار معاً لفترة في روسيا وبريطانيا - لم تكن لديهم أي وسيلة لفهم ما مر به الكبار من خبرات وما شعروا به من أحاسيس - حتى عندما كان الكبار مستعدين للحديث عن الماضى، فغالبية الألمان واليابانيين والفرنسيين ينفرون من القيام بذلك. كيف يمكن لشاب هندى، لم يكن الكونجرس يُمثل بالنسبة له سوى حكومة أو آلة سياسية، أن يفهم شخص كان الكونجرس (حزب المؤتمر الهندى) بالنسبة له تعبيراً عن أمة تناضل من أجل تحررها؟ بل وحتى كيف يمكن للاقتصاديين الهنود الشباب، الذين اكتسحوا أقسام الجامعات فى العالم، أن يفهموا مُدرسيهم الذين كان أقصى طموحهم فى الفترة الكولونيالية أن يصبحوا ببساطة "بمثل جودة" النماذج الميتروبوليتانيةأى تلك الشائعة فى العواصم الكبرى من البلدان الاستعمارية؟.

لقد أدى العصر الذهبى إلى توسيع هذه الفجوة، على الأقل حتى السبعينيات. كيف يمكن للفتيان والفتيات، الذين يكبرون فى ظل عصر التوظيف الكامل، أن يتفهموا خبرة الثلاثينيات؛ أو على العكس، كيف يتسنى للجيل الأكبر أن يتفهم الشباب الذين لم تكن الوظيفة تمثل بالنسبة لهم ملاذاً آمناً بعد الخوض فى بحار عاصفة (وخاصة وظيفة آمنة تضمن حقوق المعاش)، فى حين كانت تمثل شيئاً يمكنهم الحصول عليه فى أى وقت، بل والتخلى عنه فى أى وقت يشعر فيه الفرد برغبة فى الذهاب إلى نيبال لقضاء عدة أشهر؟ ولم يقتصر هذا النوع من الفجوات الجيلية على البلدان الصناعية، إذ أن الانحدار المذهل الذى شهدته المناطق الريفية قد خلق هوة مماثلة بين الجيل الريفى والجيل الذى كان ريفياً، وبين جيل العمل اليدوى وجيل العمل الآلى. إن أساتذة التاريخ الفرنسيين - الذين تربوا فى فرنسا، حيث كل منهم إما نشأ فى مزرعة أو أمضى أجازته فيها - اكتشفوا أن عليهم أن يشرحوا للطلبة فى السبعينيات كيف يبدو فناء مزرعة يضم كومة من الروث. والأكثر من ذلك، أن هذه الفجوة بين الأجيال قد أثرت حتى على أولئك الذين مروا بالأحداث السياسية الكبرى بالبلد، أو ليس لديهم آراء بعينها حول هذه الأحداث، إلا بقدر ما يتعلق الأمر بمدى تأثيره على حيواتهم الشخصية - وهؤلاء يشكلون أغلبية سكان العالم.

وبطبيعة الحال، فسواء مرت بهم هذه الأحداث أم لم تمر، فإن أغلبية سكان العالم هم الآن الأصغر سناً عن أى فترة سابقة. ففى الجزء الأكبر من العالم الثالث، حيث لم يحدث بعد التحول الديموغرافى من المعدل الأعلى للمواليد إلى المعدل الأدنى، فإن ما

بين خمس السكان ونصفهم فى أى فترة خلال النصف الثانى من القرن العشرين كان مُرجحاً أن يقل عن سن الرابعة عشر. ومع ذلك، فمهما كانت قوة روابطهم الأسرية، ومهما كانت قوة شبكة التقاليد الواقعين فى شباكها، لم يكن من الممكن إلا أن توجد فجوة هائلة بين فهمهم للحياة ولخبراتهم وتوقعاتهم، وبين فهم الأجيال الأكبر. إن الذين تعرضوا للنفى من جنوب أفريقيا وعادوا إلى بلدهم فى باكورة التسعينيات يمتلكون فهماً يختلف عن فهم "الرفاق" الشباب حول معنى النضال من أجل المؤتمر الوطنى الأفريقى؛ فهؤلاء الشباب حملوا نفس الراية فى المناطق الأفريقية (التى يشغلها غير المنحدرين من أصول أوروبية). وعلى العكس من ذلك، كيف يمكن للغالبية فى سويتو - الذين وُلِدوا بعد دخول نلسون مانديلا السجن - أن تعتبر مانديلا شيئاً آخر غير رمزأو معبود ؟ لقد كانت الفجوة بين الأجيال فى تلك البلدان أكبر، من نواح عديدة، ممَّا كانت عليه الحال فى الغرب، حيث المؤسسات الدائمة والاستمرارية السياسية ربطت بين الكبار والصغار.



لقد أصبحت الثقافة الشبابية منبت الثورة الثقافية بالمعنى الأوسع للثورة من زاوية السلوك والعادات ووسائل شغل أوقات الفراغ والفنون التجارية، التى تشكلت بتزايد الهواء الذى تنفسه الرجال والنساء فى الحضر. ومن هنا، فإنها تتسم بصفتين وثيقتى الصلة بما سبق. أنها انتشرت على المستوى الشعبى، وأنها كانت متناقضة، وخاصة فيما يتعلق بالسلوك الشخصى. كان كل فرد "يقوم بمباشره أموره" مع حد أدنى من القيود الخارجية، على الرغم من أن ضغوط الأقران و"الموضة" كانت فى الممارسة مفروضة بنفس الاتساق السابق، على الأقل داخل مجموعات الأقران والثقافات الفرعية.

لم يكن جديداً فى حد ذاته أن الشرائح العليا وجدت أن تترك نفسها لتأثير ما وجدته بين "الناس". وحتى إذا تركنا جانباً الملكة مارى أنطوانيت التى أحبت دور عاملات محال اللبن، نجد الرومانسيين يعشقون الثقافة الشعبية الريفية والموسيقى الشعبية والرقص الشعبى؛ وكان أكثر مثقفيهم غرابة (بودلير) مفتوناً بالحنين لأخاديد المياه: كما كان كثير من الفيكتوريين يرون أن ممارسة الجنس مع شخص ينتمى لمرتبة أدنى (حيث يعتمد نوع الجنس على الذوق الشخصى)، مُرضياً بصورة استثنائية. (ولم تنقرض هذه المشاعر تماماً فى القرن العشرين). وفى عصر الامبراطورية، بدأت التأثيرات الثقافية تتحرك للمرة الأولى متجهة للصعود باضطراد (راجع "عصر

الامبراطورية"، الفصل التاسع)، سواء من خلال التأثير القوى للفنون العامية (plebeian arts) حديثة التطور، أم من خلال السينما التى تُعد وسيلة الترفيه من الدرجة الأولى لسوق ضخمة مع ذلك، فقد ظلت غالبية وسائل الترفيه العامة والتجارية، فى الفترة الواقعة بين الحربين، خاضعة لهيمنة الطبقة الوسطى، أو وُضِعت تحت مظلتها، بأشكال عديدة. وفوق كل شئ، كانت صناعة هوليود الكلاسيكية للسينما تحظى بالاحترام. كانت الصورة الأمريكية حول "قيم الأسرة" الراسخة بمثابة مثلُها الأعلى الاجتماعى، وكانت الكنيسة الصغيرة التى تلعب دوراً وطنياً بمثابة ايديولوجيتها. وعندما كانت تكتشف، فى سعيها خلف طابور شباك التذاكر، وجود نوع أدبى لايتفق والعالم الأخلاقى لأفلام "أندى هاردى" الخمسة عشر (١٩٣٧ - ١٩٤٧) - التى فازت بجائزة الأكاديمية لما قامت به من "تعزيز لأسلوب الحياة الأمريكى" (Halliwell, 1988, p. 321) - مثل أفلام العصابات وقاطعى الطرق، التى ظهرت فى فترة مبكرة وكانت تنطوى على مخاطرة إضفاء طابع مثالى على مُنتهكى القانون، فإنها سرعان ما كانت تستعيد النظام الأخلاقى، من حيث كونه ليس فى أيد أمينة بالفعل - أى قانون إنتاج هوليود (١٩٣٤ - ١٩٦٦)، الذى حدد الوقت المسموح به لعرض قبلات على الشاشة (والأفواه مغلقة) بمدة يصل حدها الأقصى إلى ثلاثين ثانية. أما الانتصارات الكبرى التى حققتها هوليود - مثل فيلم "ذهب مع الريح" - فقد كانت ترتكز على روايات مُعدة للقُراء متوسطى الثقافة من الطبقة الوسطى؛ كما كانت تنتمى إلى عالم ثقافى راسخ، مثل Vanity Fair» سوق المتعة » لثاكرى، أو Cyrano de Bergerac (سيرانو دى برجراك)لإدموند روستاند. ولم تكن سوى الأنواع الفوضوية وذات الطبيعة الشعبية للمسرحيات الهزلية (vaudville) والأفلام الكوميدية التى وُلدت فى السيرك، هى التى قاومت لفترة من الوقت عملية إضفاء الطابع الارستقراطى، على الرغم من تراجعها فى الثلاثينيات تحت ضغط boulevard genre - "الكوميديا المجنونة" بهوليود.

ومرة أخرى، فإن أفلام برزودواى "الموسيقية" الظافرة، فى سنوات مابين الحربين، والأنغام الراقصة وأغانيها، كانت تُعتبر نوعاً أدبياً برجوازياً، رغم أنه لم يكن من الممكن تصوره بدون تأثير الچاز (jazz). لقد كان هذا النوع يُكتب لجمهور الطبقة الوسطى فى نيويورك، وكانت نصوصه الأوبرالية (librettos) وكلمات أغانيه موجهة بوضوح إلى جمهور بالغ اعتبر نفسه من المثقفين المتحررين رفيعى الثقافة فى الحضر. إن مقارنة سريعة بين كلمات أغانى كول پورتر وكلمات أغانى فريق رولينج ستونز يمكن أن توضح هذه النقطة. ومثله مثل العصر الذهبى لهوليود، ارتكز العصر

الذهبى لبرودواى على التعايش بين ما هو عامى وما يتمتع بالاحترام، ولكنه لم يكن منتشراً على المستوى الشعبى.

والجديد فى الخمسينيات أن شباب الطبقتين العليا والوسطى - على الأقل فى العالم الأنجلو ساكسونى الذى كان يحدد المزاج العالمى بصورة متزايدة - قد بدأ فى قبول موسيقى وملابس، بل وحتى لغة، الطبقات الدنيا فى الحضر، أو ما بدا أنه كذلك، باعتبارها نموذجاً لهم. لقد كانت موسيقى الروك أكثر الأمثلة بروزاً. وفى منتصف الخمسينيات، تفجرت فجأة من جيتو موسيقى "الرس" (Race) و"الريثم والبلوز" (Rhythm and Blues)كتالوجات شركات الاسطوانات الأمريكية، مستهدفة الفقراء السود بالولايات المتحدة، لتصبح الأسلوب المميز العالمى للشباب، وبوجه خاص الشباب البيض. لقد كان المتأنقون من شباب الطبقة العاملة فى الماضى، يتخذون أنماطهم أحياناً من قمة "الموضة" لدى الشرائح الاجتماعية العليا، أو من الثقافات الفرعية للطبقة الوسطى مثل البوهيمية الفنية. وكان الأمر متزايداً بصورة أكبر لدى فتيات الطبقة العاملة. والآن، يبدو أن ما يحدث هو تحول عكسى لافت للنظر. فقد أسس سوق "الموضة" لشباب العامة استقلاله، وبدأ فى تحديد مزاج السوق الارستقراطى. ومع تقدم ارتداء الجينز (للجنسين)، تراجعت بيوت الأزياء الباريسية، أو بالأحرى قبلت الهزيمة بموافقتها استخدام اسمائها المرموقة لبيع منتجات السوق الضخمة، سواء بشكل مباشر أو بترخيص. وبالمناسبة، كان عام ١٩٦٥ أول عام تُنتِج فيه صناعة الأزياء النسائية الباريسية عدداً من البنطلونات يزيد على عدد التنورات (Veillon, p. 6). وقد أخذ الشباب الارستقراطى فى إسقاط أساليب نُطق الكلمات، والتى كانت تحدد فى بريطانياأفراد طبقتهم بما لايدع مجالاً للخطأ، وبدأوا فى الكلام بلغة تقترب من أسلوب حديث الطبقة العاملة اللندنية.(٢) كما بدأ الشباب من الرجال الذين يتمتعون بالاحترام - وعلى نحو متزايد النساء الشابات أيضاً - فى محاكاة ما كان فى يوم ما "موضة" النعرة الرجولية التى انتشرت بين العمال اليدويين والجنود وأمثالهم، ولم تكن تحظى بالاحترام على الإطلاق، فضلاً عن الاستخدام العادى للكلمات الفاحشة فى المحادثة. ولم يتخلف الأدب عن المجاراة: هناك ناقد مسرحى ألمعى جلب كلمةوهى «الفعل الجنسى» fuck البذيئة إلى جمهور الإذاعة. وللمرة الأولى فى تاريخ الحواديت، أصبحت سندريلا حسناء الحفلة الراقصة بعدم ارتدائها ملابس رائعة.

إن هذا التحول شعبى الطابع فى أذواق شباب الطبقتين الوسطى والعليا فى عالم الغرب - والذى كان له أيضاً مايوازيه حتى فى العالم الثالث، مع تفوق المثقفين البرازيليين فى رقصة السامبا(٣) - قد تربطه أو لاتربطه علاقة باندفاع الطلاب



المنتمين للطبقة الوسطى نحو السياسة الثورية والأيديولوچيا الثورية بعد ذلك بعدة سنوات. إن "الموضة" عادة ما تكون تنبؤية، ولا أحد يعرف كيف. لقد تعزز ذلك بالتأكيد بين الشباب الذكور، فى مناخ الليبرالية الجديد، عن طريق ظهور ثقافة فرعية للمثلية الجنسية ذات أهمية فردية كاتجاه فى "الموضة" والفن. ومع كل، ربما ليس من الضرورى الافتراض ماهو أكثر من أن النمط شعبى الطابع كان طريقة مناسبة لرفض قيم أجيال الآباء، أو كان - توخياً لمزيد من الدقة - لغة يمكن للشباب من خلالها أن يتلمس طريقه فى التعامل مع عالم لم تُعد فيه قواعد وقيم الكبار مناسبة.

إن التناقض الجوهرى لدى الثقافة الشبابية الجديدة قد ظهر بأوضح تجلّياته فى اللحظات التى وجدت فيها هذه الثقافة تعبيرها الفكرى، كما هى الحال فى الملصقات الفورية الشهيرة لأيام مايو ١٩٦٨ الباريسية: "الحظر محظور"؛ وفى المثل الذى أطلقه چيرى روبين الراديكالى الأمريكى أن الفرد لاينبغى أن يثق فى أحد لم يقض مدة (فى السجن) (Wiener, 1984, p. 204). وبما يتناقض مع النظرة الأولى، لم تكن هذه العبارات سياسية بالمعنى التقليدى - حتى بالمعنى الضيق المتعلق باستهداف التخلص من القوانين القمعية. لم يكن ذلك هدفهم. لقد كانت تلك العبارات تصريحات علنية عن مشاعر ورغبات شخصية. وكما كان الأمر مطروحاً فى إحدى شعارات مايو ١٩٦٨: "إننى أعتبر رغباتى واقعية، إذ أننى أؤمن بواقعية رغباتى" (Katsiaficas, 1987, p. 101). وحتى عندما اجتمعت هذه المظاهر والمجموعات والحركات - فيما كان يشابه التمرد الجماهيرى، بل وكان له هذا التأثير فى بعض الأحيان - كانت الذاتية تحتل موقع القلب فى كل هذه الأمور. إن شعار "الشخصى هو السياسى" قد أصبح شعاراً مهماً فى التوجه النسوى الجديد، وربما كان أكثر نتائج سنوات الراديكالية استمراراً. لقد كان الشعار يعنى ببساطة ما هو أكثر من أن الالتزام السياسى له دوافع شخصية ويحقق الرضا الشخصى، وأن معيار النجاح السياسى هو مدى تأثيره فى الناس. وفى بعض الشهور كان يعنى ببساطة "سوف أُطلق على أى شئ يقلقنى أنه سياسى"، كما جاء فى عنوان واحد من الكتب التى ظهرت فى السبعينيات (Fat is a Feminist Issue) - "السمنة هى قضية نسوية" - (Orbach, 1978).

إن شعار مايو ١٩٦٨ "عندما أفكر فى الثورة أود ممارسة الحب" كان لابد أن يبعث على الحيرة ليس فقط لدى لينين وإنما أيضاً لدى روث فيشر - المناضل الشيوعى الشاب فى ڤيينا، الذى هاجم لينين فى زمن بطولاته فى العلاقات الجنسية غير الشرعية (Zetkin, 1968, pp. 28ff). ومع كل، وعلى العكس من ذلك، فحتى

بالنسبة لأى راديكالى يتسم بالوعى السياسى التقليدى وينتمى للاتجاه الماركسى اللينينى الجديد فى الستينيات والسبعينيات، كان الكومنترن الذى صوره برخت - وكأنه تأخر على مسافر أخذ يمارس الحُب وذهنه مشغول بأشياء أخرى، فى العمل "Der Liebe pflegte ich achtlos" - Brecht, 1976, II, p. 722) - يمكن لهذا العميل أن يكون شخصاً غامضاً وغير مفهوم بالنسبة لهؤلاء الذين لم يكونوا معنيين بما يأمل الثوريون فى تحقيقه من أهداف خلال نشاطهم، وإنما ما قاموا به وما شعروا به عند قيامهم به. حيث لم يكن فصل فعل الحب عن الثورة وارداً.

وبالتالى، سار التحرر الشخصى والتحرر الاجتماعى معاً فى طريق واحد؛ وهى أكثر الطرق بداهة بالنسبة لهم لتحطيم روابط الدولة، وهدم سلطة الآباء والجيران، والقانون والعُرف، والجنس والمخدرات. وأما الجانب الشخصى فلم يكن يحتاج للاكتشاف بأشكاله المتعددة. لقد قال الشاعر السوداوى المُحافظ: "بدأت الممارسة الجنسية فى عام ١٩٦٣" (Larkin, 1988, p. 167)، ولم يكن يعنى بذلك أن مثل هذه الممارسة لم تكن شائعة قبل ١٩٦٣، أو حتى أنه لم يعتدها، بل كان يعنى أن هذا النشاط قد غيّر من طابعه العام مع محاكمة "ليدى تشاترلى"* لقد كان من اليسير إطلاق تلك التلميحات ضد الأساليب القديمة، حيثما تواجد نشاط كان محظوراً فى السابق. أما حيثما تواجد نشاط كان مُجازاً فى السابق، سواء على نحو رسمى أم غير رسمى، مثل علاقات المثلية الجنسية أو المساحقة بين الإناث، فانه كان فى حاجة إلى تأكيد ولهذا، فإن التزاماً عاماً بالمحظور أو غير العُرفى الذى ("يجرى إنتاجه) حتى الآن، يحظى بأهمية خاصة. ومن الناحية الأخرى، فإن المخدرات - ماعدا بالنسبة للكحول والتبغ - كانت ماتزال مقصورة على ثقافات فرعية محدودة لكل من المجتمع العلوى، وقاع المدنية والهامشى، و لكنها لم تستفد من التشريعات التى يمكن أن تجيزها. ولم يكن انتشارها علامة على التمرد فحسب، فالأحاسيس التى ولدتها تتسم بقدر كاف من الجاذبية. ومع ذلك، فقد كان استخدام المخدرات، بالتعريف القانونى، نشاطاً محظوراً. وربما لأن المادة المُخدرة التى كانت أكثر انتشاراً بين الشباب الغربى - الماريجوانا - كانت أقل ضرراً من المواد الكحولية والتبغ، فلم يكن تدخينها (وهو نشاط اجتماعى

(×) عندما انتهى د.هـ. لورنس من روايته ليدى تشاترلى سنة ١٩٢٨ رفضت دور النشر طبعها، ثم طبعت فى نيويورك وتعرضت للمصادرة، وفى أغسطس ١٩٦٠ أعلنت سلسلة بنجوين أنها سوف تنشر الرواية، فحرك النائب العام دعوى لمصادرتها استناداً إلى قانون المطبوعات البذيئة وعند نظر القضية احتشد ٣٥ من الكتاب المرموقين ودافعوا عن الرواية وبعد خمس جلسات صدر حكم المحكمة ببراءة الرواية من البذاءة فى ٢ نوفمبر ١٩٦٢. **(المحررة)**

نمطى) مجرد نوع من التحدى، وإنما لإظهار التفوق على من حظروها. وعلى الشواطئ العاصفة فى أمريكا الستينيات، وأينما كان يلتقى أنصار موسيقى الروك والطلاب الراديكاليون، عادة ما كان الخط الفاصل بين التعرُض للرجم وبناء المتاريس يبدو ضبابياً.

شهد ميدان السلوك المقبول على المستوى العام توسعاً، بما فى ذلك السلوك الجنسى؛ وهو ربما أدى إلى تزايد التجريب وتواتر السلوك الذى كان مايزال يقع فى عداد غير المقبول أو المنحرف، مما أسهم بالتأكيد فى تزايد رؤيته. وهكذا، فإن الثقافة الفرعية المتعلقة بممارسة المثلية الجنسية فى الولايات المتحدة - حتى فى مدينتى سان فرانسيسكو ونيويورك، اللتين أرستا هذا الاتجاه وتبادلتا التأثير - لم تبرز حتى بدأت الستينيات؛ ولم تبرز كمجموعة ضغط سياسى فى هاتين المدينتين إلا مع السبعينيات (Duberman et al., 1989, p. 460). ومع كل، فقد تمثلت الدلالة الأساسية لهذه التغيرات، سواء بشكل مباشر أو ضمنى، فى رفض التنظيم التاريخى القديم المتجذر للعلاقات الإنسانية فى المجتمع، والتى عبّرت عنها وأجازتها ورمزت إليها الأعراف والمحظورات.

والأكثر دلالة أن هذا الرفض لم يتم باسم نمط آخر لتنظيم المجتمع، على الرغم من أن نزعة الحرية كانت قد منحت تبريراً ايديولوجياً عبر أولئك الذين شعروا بالحاجة إلى مثل هذه التسميات [٤]، وإنما باسم الاستقلال غير المحدود للرغبة الفردية. كان الافتراض يتمثل فى عالم الفردية ذاتية التنظيم، التى جرى دفعها إلى نهاية حدودها. وتكمن المفارقة فى هذا الوضع من حقيقة أن التمردات المضادة للأعراف والقيود شاركت فى الافتراضات التى تأسس عليها المجتمع الاستهلاكى، أو على الأقل الدوافع السيكولوجية التى وجدها أولئك الذين كانوا يبيعون السلع والخدمات الاستهلاكية أكثر جاذبية للمشترين وفاعلية لبيع منتجاتهم.

كان من المُفتَرَض ضمنياً أن العالم يتكون من عدة بلايين من البشر، يحدوهم سعيهم لتحقيق رغباتهم الفردية، بما فى ذلك الرغبات التى كانت حتى ذلك الحين محظورة أو موضوعاً للاستنكار، ولكنها أصبحت مُباحة الآن - ليس لأنها باتت مقبولة أخلاقياً، وإنما لأنها كانت موجودة من قبل وقام البعض بإشباعها.

وهكذا، فحتى التسعينيات كانت اللبرلة الرسمية قاصرة عن تقنين المخدرات. واستمرت المخدرات محظورة، بدرجات مختلفة من الشدة ودرجة عالية من اللافاعلية. فقد تطور، منذ الستينيات، وبسرعة كبيرة، سوق ضخم للكوكايين، وأساساً بين

الطبقات الوسطى المزدهرة فى شمال أفريقيا، ثم فى أوروبا الغربية بعد ذلك بفترة وجيزة. وقد أدى ذلك، مثله مثل النمو العام الأبكر فى سوق الهيروين (أساساً فى أمريكا الشمالية)، إلى تحويل الجريمة، للمرة الأولى، إلى تجارة كبيرة (Arlacchi, 1983, pp. 215, 208).



وعلى هذا النحو، يمكن فهم الثورة الثقافية فى القرن العشرين باعتبارها انتصاراً للفرد على المجتمع، أو بالأحرى تقطيعاً للخيوط التى كانت فى الماضى تغزل الإنسان فى النسيج المجتمعى. ولم تكن الأنسجة الاجتماعية تتكون فحسب من العلاقات الفعلية القائمة بين البشر وأشكال تنظيمهم، وإنما أيضاً من النماذج العامة لهذه العلاقات، فضلاً عن الأنماط المتوقَعة لسلوك الناس تجاه بعضهم البعض؛ فقد كانت أدوارهم موصوفة وإن لم تكن دائماً مدونة. ومن ثم، نجد الشعور الجريح بعدم الأمان ، عندما تنقلب الأعراف القديمة للسلوك أو تفقد منطقها، أو عندما تحدث حالة من عدم الفهم بين أولئك الذين شعروا بهذا الفقدان وأولئك الذين كانو أصغر من أن يعرفوا أى شئ لم يجدوا إلا مجتمعاً متدنياً.

لقد قام باحث انثروبولوچى برازيلى فى الثمانينيات بوصف توتر رجال الطبقة الوسطى، المشبعة بثقافة الأبيض المتوسط بشأن الشرف والعار. وقد واجه الحادثة التى كانت شائعة حينذاك، عندما تعرض له لصوص طلبوا أمواله وهددوه باغتصاب حبيبته. وفى ظل هذه الظروف، كان من المتوقع دائماً من "الچنتلمان" أن يدافع عن المرأة، إن لم يكن النقود، كثمن لحياته؛ فالمرأة تفضل الموت عن ملاقاة مصير يُقال عنه فى الأمثال بأنه "أسوأ من الموت". ومع ذلك، لم يكن من المرجح، فى واقع المدن الكبرى فى نهايات القرن العشرين، أن المقاومة يمكن أن تنقذ "شرف" المرأة أو النقود. وقد كان التسليم بمثابة السياسة العقلانية فى مثل هذه الظروف، وذلك للحيلولة دون أن يفقد المعتدون صوابهم ويرتكبون حماقة حقيقية أو حتى جريمة قتل. أما بالنسبة لشرف المرأة، المُعرّف تقليدياً بالبكارة قبل الزواج والإخلاص التام بعد الزواج، فما الذى كان يمكن أن يجرى تحديداً الدفاع عنه من جانب الرجال والنساء، على ضوء فرضيات السلوك الجنسى وواقع الممارسات التى كانت سائدة بين المتعلمين والمتحررين فى الثمانينيات؟ ومع كل، وكما أوضحت دراسات الباحث الانثروبولوچى، لا يثير

الدهشة أن ذلك لم يقلل من جراح المأزق. وهناك مواقف أقل تطرفاً يمكن أن تسفر عن حالة عدم أمان ومعاناة ذهنية - على سبيل المثال اللقاءات الجنسية العادية. إن البديل لعادة قديمة، مهما كان غير معقول، يمكن أن يتحول لا لأن يصبح عادة جديدة أو سلوك عقلاني، وإنما إلى انتفاء كامل للقواعد، أو على الأقل عدم الاتفاق حول ما يجدر القيام به.

وفي غالبية أنحاء العالم، نجد أن الأنسجة الاجتماعية والعادات القديمة، رغم البخس من قيمتها عبر رُبع قرن من التحول الاجتماعي والاقتصادي غير المتوازي، كانت متوترة، وإن كانت لم تصل بعد إلى التفسخ. كان ذلك من حسن طالع غالبية البشر، وخاصة الفقراء، طالما أن شبكة القرابة والجماعة والجيرة كانت جوهرية للبقاء الاقتصادي، وبوجه خاص لإحراز النجاح في عالم متغير. لقد كانت تباشر عملها، في العديد من أنحاء العالم الثالث، كتركيب يضم خدمات المعلومات، وتبادل العمالة، ومُجمع للعمل ورأس المال، وآلية للادخار، ونظام للضمان الاجتماعي. وبدون الأسر المتماسكة يصعب، بطبيعة الحال، تفسير النجاحات الاقتصادية لبعض أجزاء من العالم - مثل الشرق الأدنى.

أما في المجتمعات الأكثر تقليدية، فيمكن أن تظهر التوترات في الأساس بقدر ما أدى انتصار اقتصاد الأعمال التجارية إلى الانتقاص من مشروعية النظام الاجتماعي الذي كان مقبولاً حينذاك والمرتكز على التفاوت، ذلك أن الطموحات أصبحت أكثر مساواتية، كما اضمحلت المبررات العملية للتفاوت. ومن ثم، فإن ثروة الراجا الهندي (مثلها مثل الحصانة المعروفة إزاء الضرائب على ثروة العائلة المالكة البريطانية، والتي لم تواجه معارضة حتى التسعينيات) لم تتعرض للحسد أو الامتعاض من جانب رعاياه، في حين يمكن أن يتعرض الإنسان لذلك من جاره. لقد كان الأمراء الهنود ينتمون إلى دورهم الخاص في النظام الاجتماعي - وربما حتى الكوني - وكانوا علامات دالة عليه؛ وهو الدور الذي كان من المعتقد أنه يصون عالمهم ويحقق استقراره، وبالتأكيد يضفي عليه رمزيته. وفي نمط مختلف إلى حد ما، نجد أن المميزات الكبيرة والحياة المترفة التي تمتع بهما ملوك الأعمال التجارية اليابانيين كانت غير مقبولة بدرجة أقل، طالما لم يكن يُنظر إليها كثروة مُخصصة فردياً، وإنما أساساً كلواحق لمواقعهم الرسمية في الاقتصاد، بالأحرى مثل الحياة المترفة لأعضاء مجلس الوزراء البريطاني - سيارات الليموزين، والمساكن الخاصة، ... ألخ - التي كان يتم سحبها في غضون ساعات قليلة بعد توقف أي منهم عن شغل موقعه. إن التوزيع الفعلي للدخول

فى اليابان ، كما نعرف، كان أقل تفاوتاً بدرجة كبيرة عما عليه الحال فى مجتمعات الأعمال بالغرب. ومع كل، فالمراقب للوضع اليابانى فى الثمانينيات، حتى من بعيد، بالكاد ما يمكنه تجنب الخروج بانطباع أن هذا التراكم المحض للثروة الشخصية، أثناء سنوات الازدهار العشر، وبروزه على المستوى العام، قد جعل التناقض أكثر وضوحاً بين ظروف حياة المواطن اليابانى العادى فى بيته - وهى أكثر تواضعاً عن حياة نظيره فى الغرب - وبين ظروف حياة اليابانى الثرى. وربما للمرة الأولى لم يعُد أياً منهم يحظى بحماية كافية من جانب ما كان يُعتبر مميزات مشروعة تقترن بخدمة الدولة والمجتمع.

لقد خلقت عقود الثورة الثقافية فى الغرب فوضى شديدة. وتبدو الحدود القصوى من هذا الانهيار أيسر وضوحاً فى الخطاب الايديولوچى العلنى لنهاية القرن فى الغرب، وبوجه خاص فى التصريحات العلنية التى، بينما لم تزعم عُمقاً تحليلياً، قد صيغت من زاوية المعتقدات الأوسع انتشاراً. ويفكر المرء فى تلك الحجة التى كانت شائعة فى فترة ما لدى بعض الدوائر النسوية، أن عمل المرأة المنزلى ينبغى حسابه (بل ودفع أجرته عند الضرورة) بسعر السوق؛ أو تبرير إجراء إصلاح فى مجال الإجهاض، من زاوية "حق الاختيار" المجرد وغير المحدود للفرد (المرأة).[٥] وقد نال هذا الخطاب تشجيعاً نتيجة للتأثير المنتشر للاقتصادات الكلاسيكية الجديدة، التى اتخذت فى المجتمعات الغربية العلمانية مكان الثيولوچيا بصورة متزايدة، فضلاً عن تأثير فلسفة التشريع الأمريكية ذات الطابع الفردى المُفرط (من خلال الهيمنة الثقافية للولايات المتحدة). كما وجد تعبيره السياسى فى عبارة رئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر: "لا يوجد مجتمع، وإنما فقط أفراد".

ومع ذلك، ومهما كان الإفراط فى النظرية، كانت الممارَسة مُفرطة أيضاً بنفس القدر. وفى فترة ما من السبعينيات، إصطدمت الإصلاحات الاقتصادية فى البلدان الأنجلو-ساكسونية (كما كان الباحثون يصطدمون على نحو دورى) بآثار التصنيع على المرضى العقليين أو ضعاف العقول. وقد نجحت هذه الإصلاحات فى شن حملات لإخراج أكبر قدر منهم خارج دائرة الاحتجاز المرضى حتى "يتمتعوا بالرعاية فى المجتمعات". ولكن مدن الغرب لم تعُد تَضم مجتمعات لرعايتهم. لايوجد أقرباء. ولايوجد من يعرفهم. كانت توجد فقط طرقات بعض المدن، مثل نيويورك، مليئة بالشحاذين الذين لا مأوى لهم، يحملون أكياساً بلاستيكية ويومئون ويتحدثون إلى أنفسهم. وإذا كانوا سعداء أو تعساء الحظ (يتوقف الأمر على وجهة النظر)، فإنهم ينتقلون فى

النهاية من المستشفيات التى طردتهم إلى السجون التى أصبحت، فى الولايات المتحدة، بمثابة الوعاء الرئيسى للمشكلات المجتمعية فى المجتمع الأمريكى، وخاصة قطاعه الأسود. وقيل أن ١٥٪ ممن كانوا نسبياً أكبر عدد من السجناء فى العالم – ٤٢٦ سجيناً كل مائة ألف نسمة – عام ١٩٩١، كانوا من المرضى العقليين. (Walker, 1991; Human Development, 1991, p. 32, Fig. 2.10).

لقد كانت الأسرة التقليدية والكنائس تقليدية التنظيم هما أكثر المؤسسات تعرُضاً للتقويض فى *الغرب* نتيجة *للنزعة الفردية الجديدة*؛ وقد تعرضتا لانهيار كبير فى الثُلث الأخير من القرن. لقد تقوض، وبسرعة مذهلة، الأساس الذى كانت ترتكز عليه مجتمعات الكاثوليك الرومان. ففى مجرى أعوام الستينيات، انخفض حضور القداس فى كويبيك (كندا) من ٨٠٪ إلى ٢٠٪: كما انخفض معدل المواليد الفرنسى–الكندى عن المعدل المتوسط فى كندا، رغم أنه كان أعلى منه فى العادة (Bernier/Boily, 1986). إن تحرر المرأة – أو توخياً لمزيد من الدقة، مطالب المرأة بشأن تنظيم المواليد، بما فى ذلك الإجهاض وحق الطلاق – ربما أدى إلى تشييد أعمق حاجز بين الكنيسة وبين ما كان قد أصبح فى القرن التاسع عشر المخزون الأساسى للتدين أى النساء (راجع: Age of Capital)؛ وقد ازداد الأمر وضوحاً فى البلدان الكاثوليكية سيئة الصيت مثل ايرلندة وأيطاليا البابا، بل وحتى فى بولندة – بعد سقوط الشيوعية. أما المهن المرتبطة بالكهانة، وغيرها من أشكال الحياة الدينية، فقد هبطت من أعلى برج الكنيسة؛ كما كان الحال بالنسبة للرغبة فى حياة العزوبة، فعلياً أو رسمياً. وبإيجاز، وسواء للأفضل أو للأسوأ، توارت السلطة المعنوية والمادية للكنيسة على المتدينين داخل الثقب الأسود الذى انفتح بين قواعدها الحياتية وأخلاقياتها وبين واقع سلوك أواخر القرن العشرين. كما انحدرت أيضاً، وحتى على نحو أسرع، الكنائس الغربية، التى كانت قبضتها على أعضائها أقل سطوة، بما فى ذلك حتى بعض الطوائف البروتوستانتية القديمة.

وربما كانت الآثار المادية المترتبة على تخفيف الروابط الأسرية التقليدية أقل خطورة. فكما رأينا، لم تحتفظ الأسرة بوضعها السابق فحسب – كونها أداة لإعادة إنتاج نفسها – وإنما أصبحت أيضاً أداة للتعاون الاجتماعى. وبهذه الكيفية، كان من الجوهرى الحفاظ على كل من الاقتصادات الزراعية والاقتصادات الصناعية المبكرة، أى المحلى والعالمى. ويرجع ذلك جزئياً إلى عدم تطور بنية رأسمالية لاشخصية ملائمة قبل

أن يبدأ تمركز رأس المال ونهوض الأعمال الكبرى فى توليد المؤسسة المتحدة الحديثة فى نهاية القرن التاسع عشر - تلك "اليد المرئية" (Chandler, 1977) التى استكملت "اليد الخفية" للسوق[٦] وفقاً لطرح آدم سميث. ولكن سبباً أقوى كان يتمثل فى أن السوق بذاته لم يحتاط لهذا العنصر المركزى فى أى نظام خاص يستهدف الربح، وتحديداً التروست[×]؛ أو مُكافئه القانونى: أداء التعاقد. وقد كان ذلك يتطلب إما سلطة الدولة (كما كان يعرفها جيداً مُنَظِرو النزعة الفردية السياسيون فى القرن السابع عشر)، أو روابط القرابة أو الجماعة. وهكذا، كانت التجارة والعمليات المصرفية والتمويلات الدولية - وهى مجالات لأنشطة بعيدة مكانياً فى بعض الأحيان، وذات عائد كبير، وغير آمنة بدرجة هائلة - تجرى إدارتها بنجاح عن طريق كيانات أصحاب الأعمال الذين تربط بينهم صلات القرابة، ومن المُفضل انتماؤهم لمجموعات تتسم بتضامن دينى خاص - مثل اليهود، أو الكويكرز، أو الهوجونوتيون[××]. وفى الواقع، كانت مثل هذه الروابط ماتزال، حتى فى أواخر القرن العشرين، لا غنى عنها فى الأعمال الإجرامية، والتى لم تكن تُرتَكَب ضد القانون فحسب، وإنما أيضاً خارج نطاق حمايته. ففى وضع لايوجد فيه أى شئ يمكن أن يضمن التعاقدات، كانت القرابة وتهديد الموت هما فقط الضامنان. ولهذا، كانت أنجح عائلات المافيا فى كالابرى تتكون من مجموعة قوية من الأشقاء (Ciconte, 1992, pp. 361-62).

ومع كل، فإن هذه الروابط والتضامنات غير الاقتصادية التى تضم هذه الجماعات قد تقوضت الآن، كما حدث بالنسبة للنُظم الأخلاقية التى سارت معها. وقد كانت هى الأخرى أكبر سناً من المجتمع البرجوازى الصناعى الحديث، لكنها شهدت أيضاً تعديلاً بحيث تُشكل جزءاً جوهرياً منه. إن الألفاظ الأخلاقية القديمة التى تعبر عن الحقوق والواجبات، والالتزامات المتبادلة، والخطيئة والفضيلة، والتضحية، والضمير، والثواب والعقاب، لم يعُد يمكن ترجمتها إلى اللغة الجديدة المتعلقة بالرضا المنشود. ولما لم تعُد هذه الممارسات والمؤسسات مقبولة كجزء من أسلوب تنظيم المجتمع الذى يربط الناس ببعضهم البعض ويضمن التعاون الاجتماعى وإعادة الانتاج، تلاشت أغلب قدرتها على هيكلة حياة الإنسان الاجتماعية. لقد تقلصت إلى مجرد تعبيرات عن تفضيلات الأفراد، والمزاعم المتعلقة بضرورة إقرار القانون سيادة هذه التفضيلات.[٧] لقد كان التهديد بعدم اليقين وعدم القدرة على التنبؤ قائماً. لم تعُد إبرة البوصلة

(×) التروست : الاتحاد الاحتكارى بين الشركات - المترجم

(××) الهوجونوتى (Huguenot) : البروتوستانتى الفرنسى - المترجم.

تشير نحو الشمال، وأصبحت الخرائط عديمة الجدوى. هذا ما ازداد وضوحاً فى أغلب البلدان المتقدمة بدءاً من الستينيات وما بعدها. وقد وجد تعبيره الايديولوچى فى مجموعة من النظريات - من أقصى الليبرالية للسوق الحر إلى "ما بعد الحداثة" وما شابهها - والتى حاولت تجنُب مشكلة الحُكم والقيم برمتها، أو بالأحرى تقليصها إلى قاسم مشترك منفرد لحرية الفرد غير المُقيدة.

بداية، بطبيعة الحال، بدت ميزات الليبرالية الاجتماعية فى جملتها ضخمة بالنسبة للجميع ماعدا الرجعيين المتأصلين، وبدت تكلفتها محدودة؛ كما لم يكن بادياً أنها تنطوى على الليبرالية الاقتصادية. إن المدّ العظيم للإزدهار الذى غمر سكان المناطق المُفضلة فى العالم، وتعزز من خلال نُظم الضمان الاجتماعى العامة التى كانت شاملة وسخية، كان يزيل حطام التفسخ الاجتماعى. لقد كان الوالد المنفرد (مثلت الأمهات المنفردات الأغلبية الساحقة) مايزال، بدرجة كبيرة، أفضل ضمان لحياة الفقر، لكنه فى دول الرفاه الحديثة كان ضماناً أيضاً للحد الأدنى من الرزق والمأوى. أما المعاشات وخدمات الرفاه، وفى النهاية عنابر الشيخوخة، كانت تتولى رعاية كبار السن المنعزلين، الذين ليس بمقدور أبنائهم رعايتهم، أو لم يعُد أبناؤهم يشعرون بالالتزام نحو رعايتهم، فى شيخوختهم. لقد بدا طبيعياً التعامل مع الاحتمالات الطارئة الأخرى التى كانت يوماً ما جزءاً من النظام الأُسرى بنفس الطريقة؛ على سبيل المثال بنقل عبء رعاية الأطفال من الأم إلى دور الحضانة، وهو الأمر الذى طالب به منذ أمد بعيد الاشتراكيون الذين كانوا يعنون باحتياجات الأمهات اللاتى يكسبن رزقهن.

لقد كانت كل من الحسابات العقلانية والتطورات التاريخية تشير إلى نفس الاتجاه، مثلها مثل مختلف أنواع الايديولوچية التقدمية، بما يشتمل على كل أولئك الذين انتقدوا الأسرة التقليدية على اعتبار أنها أدت إلى تأبيد خضوع المرأة أو الأبناء - سواء الأطفال أو المراهقين - أو على أساس اعتبارات المساواة العامة. ومن الناحية المادية، كانت الإمدادات العامة تتفوق بداهة على ما يمكن أن توفره الأُسر لنفسها من إمدادات، إما بسبب الفقر أو لأسباب أخرى. إن خروج الأطفال فى الدول الديمقراطية من الحروب العالمية أكثر صحة وأفضل تغذية بالفعل عما قبلها يمكن أن يثبت النقطة المطروحة. كما يؤكدها أيضاً أن دول الرفاه كانت أغنى البلدان عند نهاية القرن، رغم ما تعرضت له من هجمات متصلة من جانب حكومات السوق الحر وايديولوچييها. وعلاوة على ذلك، كان مألوفاً لدى السوسيولوچيين وعلماء الانثروپولوچيا الاجتماعية أن دور

القرابة قد "تقلص ، بشكل عام، مع تزايد أهمية المؤسسات الحكومية". وسواء للأفضل أو للأسوأ، فقد انحدر مع "نمو النزعة الفردية الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمعات الصناعية" (Goody, 1968, p. 402-3). وبإيجاز، وكما كان متوقعاً منذ فترة طويلة، فقد كانت العلاقات بين أفراد الجماعة الواحدة (Gemeinschaft) تُفسح المجال أمام العلاقات بين الأفراد فى المجتمع على نطاق واسع (Gesellschaft): مجتمع الجماعة يُفسح المجال أمام الأفراد المرتبطين ببعضهم فى المجتمع العام الأكبر.

يصعب إنكار الميزات المادية التى كانت، وماتزال، تميز الحياة فى عالم يشهد انحدار الجماعة والأسرة. وقد أدرك قليلون حجم اعتماد المجتمع الصناعى، حتى منتصف القرن العشرين، على التكافل بين الجماعة وقيم الأسرة القديمة وبين المجتمع الجديد؛ ومن ثم أدركوا كيف كان مُرجحاً أن تبدو آثار التفسخ السريع المذهل.وقد بدا ذلك واضحاً فى عصر ايديولوچية الليبرالية الجديدة، عندما أُدخل ذلك المصطلح المروع – "الطبقة السفلى" – أو أُعيد إدخاله، إلى المفردات الاجتماعية السياسية حوالى عام ١٩٨٠.(٨) لقد كان أولئك هم الذين – فى مجتمعات السوق المتطور بعد نهاية مرحلة التوظيف الكامل – لم يتمكنوا من النجاح، أولم لَم يرغبوا، فى بناء حياة لهم ولأسرهم فى اقتصاد السوق (حيث كان نظام التأمين الاجتماعى بمثابة المُكمل له)، الذى بدا أنه يعمل على نحو كاف بالنسبة لثُلثى غالبية سكان هذه البلدان فى جميع الأحوال حتى التسعينيات (ومن هنا أتت تسمية "مجتمع الثُلثين" التى صاغها فى ذلك العقد السياسى الديمقراطى الاجتماعى الألمانى بيتر جلوتز Peter Glotz). إن ذات كلمة "الطبقة السفلى، مثلها مثل "العالم السفلى"، كانت تنطوى على استبعاد من المجتمع "العادى". لقد اعتمدت هذه "الطبقات السفلى"، من الناحية الجوهرية، على الإسكان العام والرفاه العام، حتى عندما كانت تستكمل دخلها عن طريق عمليات الإغارة على الاقتصاد الأسود أو الرمادى، أو عن طريق "الجريمة" – أى تلك الأجزاء من الاقتصاد التى لاتصل إليها النُظُم المالية الحكومية. ومع كل، نظراً لأن هذه الشرائح هى التى شهدت تحطيم التماسك الأُسرى بدرجة كبيرة، فحتى غاراتها على الاقتصاد غير الرسمى – سواء بصورة قانونية أو غير قانونية – كانت هامشية وغير مستقرة. وكما أثبت العالم الثالث وهجراته الضخمة الجديدة إلى بلدان الشمال، فحتى الاقتصاد غير الرسمى لمدن الأكواخ والمهاجرين بصورة غير قانونية لم يكن يسير على نحو جيد إلا من خلال شبكات القرابة.

لقد أصبحت القطاعات الفقيرة من السكان الوطنيين الزنوج بالحضر فى الولايات

المتحدة، أى غالبية زنوج (Negros) الولايات المتحدة[٩]، مثالاً على "طبقة سفلى": كيان من المواطنين المُستبعَدين عملياً من المجتمع الرسمى ولايشكلون أى جزء فعلى منه، أو - كما فى حالة كثير من شبابه الذكور - من سوق العمل. وفى الواقع، كان كثيرون من شبابه، وخاصة الذكور، يعتبرون أنفسهم ينتمون عملياً إلى مجتمع خارج عن القانون أو ضد المجتمع. ولم تقتصر الظاهرة على من لديهم لون جلدى ما. فمع انحدار وسقوط صناعات القرن لتوظيف العمالة (القرن التاسع عشر وباكورة القرن العشرين)، بدأت هذه "الطبقات السفلى" فى الظهور فى عدد من البلدان. ومع كل، ففى مشروعات الإسكان - التى تولت تشييدها السلطات العامة المسئولية اجتماعياً عن كل الذين لايستطيعون تدبير نفقات سوق إيجارات المساكن أو شرائها، ولكنها مسكونة الآن من جانب أعضاء "الطبقة السفلى" - لم تكن توجد حتى جماعة، بل قدر قليل كاف من التبادل المتواصل بين الأقرباء. وحتى "الجيرة"، وهى البقية الباقية من آثار الجماعة، كانت بالكاد ما تقدر على تحمل الشعور بالخوف - بشكل عام من المراهقين الذكور الجُفاة الذين أصبحوا الآن يحملون أسلحة على نحو متزايد - ذلك الخوف الذى تفشى فى تلك الأدغال الهوبسية.(×)

وفقط فى تلك الأجزاء من العالم، التى لم تدخل بعد ذلك إلى الكون الذى يعيش فيه البشر جنباً إلى جنب وإنما ليس ككائنات اجتماعية وإنما كمجرد أفراد، عاشت الجماعة إلى درجة ما من خلال تنظيم اجتماعى ما، رغم أنه كان شديد الفقر بالنسبة لغالبية البشر. من الذى يستطيع أن يتحدث عن "طبقة سفلى" تمثل أقلية فى بلد مثل البرازيل، حيث كان ٢٠٪ من سكانه فى منتصف الثمانينات تحصل على ٦٠٪ من دخل بلدهم، فى حين كان ٤٠٪ فى القاع يحصلون على ١٠٪ أو حتى أقل؟ (UN World Social Situation, 1974, p. 84). لقد كانت حياة تتسم، بشكل عام، بالتفاوت فى المكانة وفى الدخل. ومع ذلك، كانت، بالنسبة للسواد الأعظم، ماتزال تخلو من عدم الأمان الذى يتخلل حياة الحضر فى المجتمعات "المتقدمة"، التى تفككت أوصال دلائلها للسلوك وحل محلها فراغ غير يقينى. وتتمثل المفارقة الحزينة للقرن العشرين (نهاية القرن) - بكل المعايير القابلة للقياس بشأن الرفاه الاجتماعى والاستقرار - فى أن الحياة فى ايرلندة الشمالية - التى كانت تشهد انتكاساً اجتماعياً وإن كان ذى بنية تقليدية، فضلاً عن البطالة وبعد عشرين سنة متصلة مما يشبه الحرب الأهلية - كانت أفضل، بل وأكثر أمناً بالفعل من الحياة فى أغلب المدن الكبرى بالمملكة المتحدة.

إن مأساة انهيار التقاليد والقيم لاتكمن كثيراً فى معوقات الحياة بدون الخدمات

(×) نسبة إلى الفيلسوف الانجليزى توماس هوبس (Thomas Hobbes) - المترجم.



الاجتماعية والشخصية التى كانت توفرها سابقاً الأسرة والجماعة. لقد كان يمكن إيجاد ما يحل محلهما فى دول الرفاه المزدهرة، رغم أن ذلك لايصدق على المناطق الفقيرة بالعالم، حيث أغلبية البشر ما تزال تمتلك القليل لتعتمد عليه ماعدا القرابة، والمناصرة، والعون المتبادل (فيما يتعلق بالقطاع الشيوعى من العالم، راجع الفصلين ١٣ و١٦). ولكنها تكمن فى التفسخ الذى حل بكل من النُظُم القديمة للقيمة، والعادات والتقاليد التى سيطرت على السلوك الإنسانى. لقد كانت هذه الخسارة محسوسة. وقد انعكست فى نهوض ما أصبح يسمى (مرة أخرى فى الولايات المتحدة، حيث أصبحت الظاهرة ملحوظة منذ نهاية الستينيات) "سياسات الهوية"، وعادة ما تكون عرقية/قومية أو دينية، وذات حركات نضالية تتوق نحو الماضى وتسعى لاستعادة عصر ماض افتراضى يتسم بنظام غير إشكالى وبالأمان. لقد كانت هذه الحركات بمثابة صرخات تطلب المساعدة أكثر من كونها حركات ذات برامج - إنها صرخات تسعى إلى "جماعة" تنتمى إليها فى عالم من المفارقات؛ وإلى أسرة تنتمى إليها فى عالم من الانعزال الاجتماعى؛ وإلى ملاذ ما فى الأحراش. إن كل مراقب واقعى، إضافة إلى أغلب الحكومات، كان يعرف أن الجريمة لم تتقلص أو تصبح تحت السيطرة بإعدام المجرمين أو بالردع من خلال أحكام قضائية طويلة؛ ولكن كل سياسى كان يعرف القوة الضخمة المشوبة بالعاطفة، سواء أكانت عقلانية أو لم تكن، للمطلب الجماهيرى لدى المواطنين العاديين بشأن معاقبة كل من هو ضد-اجتماعى.

لقد كانت تلك هى المخاطر السياسية للأنسجة الاجتماعية ونُظُم القيمة القديمة والبالية والمنهارة. ومع كل، ومع تقدم أعوام الثمانينيات، أصبح واضحاً بتزايد - بشكل عام فى ظل راية السيادة الكاملة للسوق - أنها استمرت أيضاً كخطر يواجه الاقتصاد الرأسمالى الظافر.

وعلى الرغم من أن النظام الرأسمالى مبنى على عمليات السوق، فقد اعتمد على عدد من النزعات لا ترتبط بصورة جوهرية بالسعى نحو مصلحة الفرد التى، كانت وفقاً لآدم سميث، وقوداً لمُحركها. لقد اعتمد النظام الرأسمالى على "عادة العمل" التى افترض آدم سميث أنها إحدى الدوافع الأساسية للسلوك البشرى؛ وعلى استعداد البشر تأجيل الإشباع أو الرضا الفورى لفترة طويلة، أى الادخار والاستثمار للفوز بالمكافأة فى المستقبل؛ وعلى الفخر بالانجاز؛ وعلى عادات الثقة المتبادلة؛ وعلى غير ذلك من السلوكيات التى لم تكن مُتَضمَنة فى زيادة منافع أى فرد زيادة عقلانية إلى الحد الأقصى. لقد أصبحت الأسرة جزءاً لايتجزأ من الرأسمالية المُبكرة، ذلك أنها أمدتها

بعدد من تلك الدوافع. ويصدق نفس الشئ على "عادة العمل"؛ عادات الطاعة والولاء، بما فيها الولاء لمدراء الشركة، وغيره من أشكال السلوك التى لم تتمكن بسهولة من التأقلم داخل نظرية الاختيار العقلانى المرتكزة على الزيادة القصوى. وبمقدور الرأسمالية أن تعمل فى ظل غياب تلك الدوافع، ولكنها فى هذه الحالة تصبح غريبة وإشكالية، حتى بالنسبة لرجال الأعمال أنفسهم. وقد حدث ذلك خلال "موضة" قرصنة "الاستيلاء" على شركات الأعمال، وغير ذلك من المضاربات المالية التى اكتسحت الأحياء المالية فى البلدان ذات السوق الحر المُفْرِط مثل الولايات المتحدة وبريطانيا فى الثمانينيات، والتى حطمت عملياً جميع الروابط بين السعى نحو الربح وبين الاقتصاد كنظام للانتاج. ولهذا السبب، فإن البلدان الرأسمالية التى لم تنس أن النمو لا يتحقق بزيادة الأرباح لحدها الأقصى فحسب، (ألمانيا، واليابان، وفرنسا)، قد جعلت من هذه الغارات أمراً عسيراً أو مستحيلاً.

لقد أشار كارل پولانى - بعد أن أجرى مسحاً حول بقايا حضارة القرن التاسع عشر أثناء الحرب العالمية الثانية - إلى أن الفروض التى بُنيت عليها كانت استثنائية وغير مسبوقة: أى النظام العالمى ذاتى التنظيم للأسواق. ودخل فى جدل مع أطروحة آدم سميث حول "النزعة الطبيعية نحو المقايضة، ومبادلة شئ بآخر قائلا إنها" قد ألهمت "نظاماً صناعياً ...... انطوى، عملياً ونظرياً، ومؤكداً على أن الإنسان كان مسيطراً فى كل أنشطته الاقتصادية، إن لم يكن أيضاً فى مجالاته السياسية والفكرية والروحية، من خلال تلك النزعة الطبيعية المعينة" (Polanyi, 1945, pp. 50-51). ومع ذلك، فقد بالغ پولانى فى منطق الرأسمالية فى عصره، تماماً كما بالغ آدم سميث فى مدى ما يمكن أن يؤدى إليه السعى من جانب الجميع ، إذا ما أُخِذ فى حد ذاته، نحو مصلحتهم الاقتصادية من زيادة تلقائية فى ثروة الأمم.

وكما نُسلِم جدلاً بالهواء الذى نتنفسه ويجعل جميع أنشطتنا ممكنة، تُسلِم الرأسمالية بالمناخ الذى تعمل فيه وتوارثته من الماضى. ولكنها اكتشفت فحسب كم كان الأمر جوهرياً عندما أصبح الهواء ضئيلاً. وبعبارة أخرى، نجحت الرأسمالية لأنها لم تكن رأسمالية فقط. لقد كان أقصى الربح والتراكم شرطين ضروريين لنجاحها، ولكنهما غير كافيين. لقد كانت الثورة الثقافية فى الثُلث الأخير من القرن هى التى بدأت إحداث التآكل فى الأصول التاريخية الموروثة لدى الرأسمالية، وتبيان صعوبات العمل بدون هذه الأصول. إنها السخرية التاريخية لليبرالية الجديدة - التى أصبحت "موضة" فى السبعينيات والثمانينيات، وازدرت بقايا النُظُم الشيوعية - أن انتصرت فى ذات اللحظة التى كفت فيها عن أن تكون مقبولة كما كانت تبدو سابقاً. لقد استحق

السوق الانتصار عندما لم يعُد من الممكن إخفاء وجهه العارى وعدم كفايته.

إن القوة الأساسية للثورة الثقافية كانت محسوسة، بطبيعة الحال، فى "اقتصادات السوق الصناعى"، التى اتخذت طابعاً حضرياً، والمتعلقة بجوهر الرأسمالية القديم. ومع كل، وكما سنرى، فإن القوى الاقتصادية والاجتماعية الاستثنائية التى تم إطلاقها فيما بعد خلال القرن العشرين قد تحولت هى الأخرى إلى ما أصبح يسمى الآن "العالم الثالث".

الهوامش

(١) من بين سوق "المنتجات الشخصية" العالمى فى عام ١٩٩٠، كان ٣٤٪ يقع فى أوروبا غير الشيوعية، و٣٠٪ فى شمال أمريكا، و١٩٪ فى اليابان. أما باقى سكان العالم، وتبلغ نسبتهم ٨٥٪، فقد اقتسموا (الأغنياء منهم) ١٦-١٧٪ (Finiancial Times, 11/4/1991).

(٢) بدأ الشُبان فى أتون القيام بذلك لدى نهاية الخمسينيات، وفقاً لنائب رئيس مؤسسة تلك النخبة.

(٣) كان شيكو بيورك دى هولندا (Chico Buarque de Holanda) الشخصية الرئيسية فى مجال موسيقى البوب البرازيلية؛ وهو ابن المؤرخ التقدمى البارز الذى كان شخصية مركزية فى الصحوة الفكرية- الثقافية لبلده فى الثلاثينيات.

(٤) ومع ذلك، لم يكن هناك مايضاهى إحياء ايديولوچية واحدة تؤمن بأن العمل التلقائى، غير المُنظم، غير السلطوى، والمنادى بالحرية يمكن أن يتسبب فى خلق مجتمع جديد وعادل، وبلا دولة – وتحديداً فوضوية باكونين أو كروبوتكين؛ حتى على الرغم من توافق ذلك، على نحو أوثق، والأفكار الفعلية لدى الطلاب المتمردين فى الستينيات والسبعينيات أكثر من الماركسية التى كانت منتشرة حينذاك.

(٥) ينبغى تمييز مشروعية أى زعم عن الأطروحات المُستخدَمة لتبريره. فالعلاقة بين الزوج والزوجة والأبناء فى الأسرة المعيشية لاتماثل بأى حال العلاقة بين المُشترى والبائع فى السوق، حتى وإن كانت سوقاً وطنية. ويصدق نفس الشئ على قرار الخلفة، حتى وإن كان من طرف واحد؛ فهو قرار يتعلق على وجه الحصر بالفرد الذى يتخذه. وتتفق هذه العبارة البديهية اتفاقاً تاماً مع الرغبة فى تغيير الدور المنزلى للمرأة، أو مع تأييد حق الإجهاض.

(٦) إن النموذج العملياتى للشركة الكبرى فعلياً قبل عصر الرأسمالية المتحدة "رأسمالية الاحتكار") لم يكن مشتق من خبرة العمل الخاص، وإنما من بيروقراطية الدولة أو البيروقراطية العسكرية – مثلاً، زى موظفى السكك الحديدية. وفى الواقع، عادة ما كان، وينبغى أن يكون، خاضعاً لإدارة الدولة المباشرة أو أى سلطات عامة أخرى غير ربحية، مثل خدمات البريد وأغلب الخدمات البرقية والتلفونية.

(٧) هذا هو الفارق بين لغة "الحقوق" (القانونية أو الدستورية)، التى أصبحت مركزية بالنسبة لمجتمع النزعة الفردية غير الخاضعة للسيطرة ،فى كافة الحالات بالولايات المتحدة ، وبين اللغة الاصطلاحية الأخلاقية القديمة التى مثلّت خلالها الحقوق والالتزامات جانبى نفس العملة.

(٨) لقد كانت الفُضالة هى المُكافئ لهذا المصطلح فى بريطانيا فى القرن التاسع عشر.

(٩) لقد كان الوصف المُفضل على المستوى الرسمى فى فترة كتابة هذا الفصل هو "الأمريكيون الأفارقة". ومع ذلك، تتغير هذه الأسماء – ظهرت خلال حياة الكاتب تغييرات عديدة ("الملونون"، "الزنوج"، "السود") – وسوف يستمر هذا التغير. ولقد استخدمت المصطلح الذى ربما يكون أكثر تداولاً عن أى مصطلح آخر بين أولئك الذين يرغبون فى احترام أصول العبيد الأفارقة فى الأمريكتين.

شهادة

دافعت عن قيثارتى*

فريدة النقاش

حين تأملت فى تجربتى ككاتبة صحفية على مدى أربعين عاما وجدت أن قضية حرية التعبير ومساحته هى الأكثر ملازمة لهذه التجربة والأصدق تعبيراً عنها.

فمنذ بدأت عملى الصحفى محررة فى القسم الخارجى فى وكالة أنباء الشرق الأوسط ، حيث تلقيت تدريبى على يد أستاذى الراحل " مصطفى كمال منير"، وحتى أستقر بى المقام فى جريدة" الأخبار" اليومية حتى هذه اللحظة ظل وضعى المهنى مرتبطاً باتساع مساحة الحرية فى البلاد أو ضيقها.

فبعد أن عملت محررة- مترجمة فى القسم الخارجى بوكالة أنباء الشرق الأوسط لثلاث سنوات ، وأصبحت أجيد عملى وأحبه صدر قرار مفاجئ بنقل مجموعة من الصحفيين من الوكالة – وأنا منهم – إلى وظائف حكومية غير صحفية، وساعتها شعرت بندم شديد لأننى قبل أن ألتحق بالوكالة مع عدد كبير من زميلاتى وزملائى خريجى قسم الأدب الإنجليزى بجامعة القاهرة كنت قد نجحت فى امتحانين بالإذاعة مذيعة ومترجمة ولكننى فضلت الوكالة.

استخدمنا وساطات كثيرة كى نعود لعملنا الذى أحببناه وعدنا ، وبعد أشهر قليلة

*** قدمت هذه الورقة كشهادة فى ندوة :" المرأة والكتابة" فى مؤتمر لاتحاد كتاب المغرب فى مدينة " أسفى".**

وكنت قد كتبت ثلاثة مقالات فى النقد الأدبى فى جريدة الجمهورية غضب منى الروائى الراحل" إحسان عبد القدوس" لأننى انتقدت فى أحدها صورة المرأة فى أدبه . ولأننى كنت قد تخرجت قبل سنة واحدة فى الجامعة كان " إحسان" يقول لكل من يلقاه إن أحداً آخر كتب المقال انتقاماً منه ووضع اسمى عليه ، وإلى وقت قريب كنت أحتفظ بقصاصة كتب عليها الشاعر الراحل " صلاح جاهين" كلمات إعجاب قوية بما كتبته عن " إحسان".

انتقلت إلى جريدة الجمهورية عام ١٩٦٧ ، وبعد أشهر وقعت هزيمة يونية وجرى فرض حالة الطوارئ والرقابة على الصحف ، وبعد عام واحد طلبوا منى - بشكل مهذب - أن أمتنع عن الكتابة ، وإذا كتبت سوف ينشرون ماأكتب - بعد مراقبته - بدون توقيعى.

وبعد سنوات قليلة وتحديداً عام ١٩٧٢ نقلت عن الإنجليزية مسرحية " الطريق" للكاتب النيجيرى " وول سوينكا" وسجلها البرنامج الثانى للإذاعة فعلاً وهو البرنامج الثقافى الذى التف حوله المثقفون ، وبعد أيام أبلغنى المسئول عن البرنامج أن اسمى قد ورد فى قائمة للممنوعين من التعامل مع الإذاعة ، وكان الرجل كريماً فأذاع المسرحية مع مقدمتى لها دون اسمى لكنه صرف لى مكافأة عنها.

وفى سنة ١٩٧٣ كنت واحدة من الذين فصلتهم لجنة النظام بالاتحاد الاشتراكى (الحزب الواحد فى ذلك الحين) من عملهم ومنعتهم من دخول مقار الصحف وطلبت شطبهم من جدول نقابة الصحفيين. ولكن حركة مواجهة قوية عطلت تنفيذ عمليات الفصل الواسعة وجمدتها ، وأذكر أننى أسهمت مع زملائى المطرودين فى تحرير مجلة حائط علقناها فى مقر النقابة وكانت موضوعاً للتندر احتوت نصوصا وأشعاراً ساخرة وتحليلاً سياسياً شاملاً للوضع . وعدنا جميعاً إلى عملنا قبل أكتوبر ١٩٧٣ بأسبوع واحد.

وواصلت كتابة النقد الأدبى والمسرحى فى جريدة الجمهورية ومجلة " المسرح"

المصرية ومجلات " الآداب" و" البلاغ" و" الحرية" فى بيروت ، وتابعت بعض مهرجانات المسرح العالمية والعربية والمحلية وتخصصت فى النقد المسرحى ، إلى أن فوجئت ذات صباح فى مارس ١٩٧٥ باسمى واسم زوجى " حسين عبد الرازق" منشورين فى الصحف وقد تم نقلنا بقرار جمهورى من جريدة الجمهورية إلى جريدة " الأخبار" وكلتيهما مملوكتين للدولة وكانت الصحف كلها فى ذلك الحين مملوكة للدولة.

وكنت قبل أسبوع واحد من قرار النقل هذا قد كتبت مقالاً نقدياً فى جريدة الجمهورية عن مسرحية" عبد الرحمن الشرقاوى" " النسر الأحمر" وقلت إنها تتضمن دعوة للانقلاب على العرب والصلح مع إسرائيل.

وبعد مفاوضات مضنية مع المسئولين عن جريدة " الأخبار" وكنا فى خصومة سياسية مع الأخوين " مصطفى وعلى أمين" خصصوا لى عموداً أسبوعياً فى صفحة المسرح كثيراً مامنع المسئول عن الصفحة نشره.

وأخذت أكتب نقداً مسرحياً وأدبياً فى جريدة " السفير" البيروتية التى كان آخر مانشرته فيها تحقيقاً من ثلاث حلقات عن الغناء السياسى فى مصر أفردت فيه مساحة واسعة لظاهرة الشيخ إمام عيسى وأحمد فؤاد نجم وعزة بلبع مع كل من عدلى فخرى ومحمد حمام ، وبعد أيام من نشر التحقيق وجدت إسمى منشوراً فى الصحف مع قائمة محدودة من الكتاب والصحفيين الممنوعين من السفر والكتابة بقرار من المدعى الاشتراكى وكان الشاعر " أحمد فؤاد نجم" ضمن القائمة وكتب قصيدته الشهيرة" ممنوع من السفر" والتى غناها " الشيخ إمام" بعد ذلك ، ودار التحقيق معى فى مكتب المدعى الاشتراكى حول موقفى من " كامب ديفيد " كما ظهر فى هذه المقالات عن الغناء ولدهشة المحقق قلت إننى فعلاً أعارض اتفاقيات كامب دافيد واتفاقية الصلح المنفرد مع إسرائيل وأعمل ضدها ، ويبدو أنه كان يتوقع منى إنكار موقفى لأبرئ نفسى.

كانت جريدة " الأهالى" قد صدرت عام ١٩٧٨ بعد تأسيس حزب التجمع بعامين ، وكتبت فيها كثيراً لكننى وقعت بعدة أسماء مستعارة لأن التعليمات الحكومية كانت تقضى بفصل من يكتب فى صحف المعارضة إذا كان يعمل فى صحيفة حكومية.

ولم تكن" الأهالى" التى صدرت بتبرعات أعضاء الحزب كتابة ومالا والتى تعرضت للملاحقات المستمرة تستطيع أن توفر رواتبنا وصادرت الحكومة" الأهالى" إلى أن منعتها الحكومة من الصدور فى نهاية العام الذى صدرت فى أوله (فبراير١٩٧٨ - أكتوبر ١٩٧٨) .

وواصلت كتابة عمودى عن المسرح فى جريدة الأخبار بين الحين والآخر ، وتوقفت عن الكتابة لبضعة أسابيع لأن المحرر لم يكتف بحذف فقرات مما أكتبه وإنما أخذ يضيف جملاً ومعان جديدة لما أكتب.

واعتقلت فى عام ١٩٧٩ بتهمة ترويج مواد أدبية معادية للصهيونية ونشرها فى الخارج.

ثم جرى اعتقالى ١٩٨١ بتهمة المشاركة فى تأسيس الحزب الشيوعى ، وأثناء إعتقالى وقعت حوادث ماسمى بعد ذلك بالفتنة الطائفية وصدر قرار بالتحفظ على متهمة بالمشاركة فى هذه الفتنة التى وقعت وكنت فى السجن وأصبحت واحدة من ١٥٣٦ معتقلة ومعتقلاً سياسياً.

وبينما كنت فى السجن صدر كتابى " السجن الوطن" فى بيروت وكنت قد كتبته حين سجنت سنة ١٩٧٩، وفى السجن صدر قرار بنقلى مرة أخرى من جريدة" الأخبار" إلى مصلحة الاستعلامات ضمن عدد من الكاتبات والصحفيات والصحفيين ، وهى القرارت التى جرى إلغاؤها بعد مقتل " السادات".

وبعد خروجى من السجن كنت أكتب - دون انتظام - عموداً عن المسرح فى جريدة" الأخبار" حتى عام ١٩٩٠ حتى صدر قرار مجهول لم أعرفه حتى الآن بمنعى

نهائياً من الكتابة فى " الأخبار" التى أنا رسمياً محررة فيها.

أسوق هذا الحديث عن قضية الحريات فى بلادنا بخاصة حرية التفكير والتعبير قبل أن أتحدث عن تجربتى فى الكتابة كامرأة فالكتابة عامة كفعل تحرر وكتابة النساء بخاصة تأثرت فى واقعنا بظروف لادخل لها البتة بالفن أو مدارسه ، وإن كانت المدارس الأدبية قد حاولت أن تتحايل على ظروف القمع بالإيغال فى الرمزية.

والظروف التى عرضت لها فى الكلمات السابقة واجهت الكتاب والكاتبات معاً ، وإن كانت المرأة الكاتبة فى تجربتى قد اتهمت بأن رجلاً يكتب لها أو على الأقل يوحى لها وهو ماوضعنى طويلاً فى حالة دفاع عن النفس ساعية بغضب لإثبات ذاتى لأن الاتهام يعنى أننى عاجزة عن أن أقدم كتابة أصيلة خاصة بى ومع ذلك فقد كان هذا الاتهام يولد فى شعورا خفياً بالرضا لأن الاتهام يعنى أن ما أكتبه جدير فى ذاته بالقراءة طبقاً للمواصفات السائدة.

وكنت أتصور أن هذه الخبرة تخصنا نحن فى مصر فى سنوات الستينات حين بدأت أنا الكتابة وكانت الأصوات النسائية قليلة نسبياً ، فاذا بنا فى نهاية القرن العشرين نفاجأ بأن كاتبة لها عالمها ولغتها ورواياتها هى " أحلام مستغانمى" تتعرض لحملة ظالمة تتهمها بأن رجلاً كاتباً هو الذى وضع لها نصوصها أو أنها قد سطت على أعماله ونسبتها لنفسها ..

أحلام التى تتساءل فى وضعها الجزائرى الملتبس والفاجع : هل تستحق هذه الصفحة التى سودتها أن أموت من أجلها؟

وأحياناً مايرى بعض الكتاب الرجال فى أعمال النساء نوعاً من المزاحمة ، ويشعر آخرون بالخوف حين تتحقق المرأة الكاتبة لأن فى تحققها إفلاتاً من الوصاية والفخاخ المنصوبة للسيطرة الأبوية عليها باسم حمايتها.

ورغم أننى لم أكتب رواية وإنما كتبت عدداً محدوداً من القصص القصيرة فان الصيغة التى اخترتها أو توافرت المساحات لها هى صيغة اليوميات التى تعبت جداً

فى كتابتها عكس مايتصور البعض ، ورغم أن رسالتها كانت تملؤنى وكان بوسعى دائماً أن أقدمها بصورة مباشرة جداً وقوية لقارئ الصحف السيارة إلا أننى كنت أبذل جهداً كبيراً حتى تقترن هذه الرسالة السياسية التقدمية بشحنة من العاطفة والمشاعر القوية والحكايات التى تصل إلى وجدان القارئ وعقله معاً . وكنت أدرب نفسى لإعادة خلق التلقائية البسيطة التى هى فى الحقيقة ليست تلقائية بل عملية تقنية متعبة. أما فى الكتابة النقدية فقد سعيت دائماً خاصة حين عالجت " أدب النساء" لا إلى اكتشاف الفروق الدقيقة بين كتاباتهن وكتابة الرجال فحسب ، وإنما أساساً إلى التعرف على قدراتهن على التعامل مع القيد المركب والاضطهاد المزدوج الواقع على جنسهن فى المجتمع الطبقى الأبوى ، والكيفية الفنية - لا الخطابية - التى كشفن بها الوجوه المتعددة للأعراف الاجتماعية المسكوت عنها والمخفية والتى تتوغل فى عالم سرى مكبوت ولغة جسد ملغز تقمع المحرمات أشواقه فيلوذ بالقوة الخيالية لأنه على حد قول" جوليا كريستيفا""محروم من المعنى" ، بل إن جسد المرأة فى اللاوعى الإنسانى مقرون بالخطيئة.

ومع ذلك فقد انشغلت طويلاً بقدرة النساء الكاتبات على التعالى على الشعور بالظلم والإفلات من الانغماس فى صورة الضحية أو الوقوع فى أسرها ، دون أن يغيب هذا الشعور أو تلك الصورة عن أدب المرأة ، أبحث كيف تتجلى قدرتهن على نسج عالم كلى من التفاصيل التى تعيش فيها المرأة وتتعامل معها يومياً أكثر كثيراً من الرجل وبشكل خاص فى علاقتها بالطفل وبجسدها، أفتش كثيراً عن التقنية وعن الدهاء والقدرة على تجاوز الغضب ولملمة أطراف الذاكرة الثقافية والدينية والأدبية التى هشمتها الثقافة السائدة ، وقد استطاعت نساء كاتبات فى وطننا العربى وفى العالم كله تقديم أعمال عظيمة هى الآن من الكلاسيكيات الكبيرة ومن عيون الأدب.

* * *



وبعد: تعلمت طيلة حياتى فى المهنة قيمتين أساسيتين ، الصدق وإتقان المعارف الجديدة فى ميدان تخصصى ومواكبتها. ولذلك عرفت جيداً – فيما أعتقد – كيف أحتفظ بالمسافة بين السياسة المباشرة التى انغمست فيها لشوشتى وعبرت كتابة عن مواقفى وبين الأدب والنقد وأدين فى ذلك لأستاذى الراحل الدكتور" على الراعى" . وأظن أن هاتين القيمتين قد انعكستا فى مجلة " أدب ونقد" التى أرأس تحريرها منذ عام ١٩٨٧ وحتى الآن ويصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، وهى تفتح الباب للمغامرات الإبداعية مهما كان عنفها .. مداها وتطرفها.

حين أنظر إلى الوراء لأشعر بالغضب فقد كنت غالباً راضية عن نفسى رغم الملاحقة والاعتقال والمنع من الكتابة والتضييق على الرزق ، كنت ومازلت صحفية وناقدة مجتهدة ، وأشعر الآن أن قول الشاعر" عبد الرحمن الخميسى " يلخص تجربتى بل وتجربة جيلين من الكتاب والصحفيين انشغلا بالهم العام.

يقول الخميسى:

" كنت أدافع عن قيثارتى أكثر مما أعزف ألحانى .."

عبد الرحمن منيف .. حالة خاصة:

أكتب لأبناء شعبى ولا تهمنى الجوائز



حاوره : أحمد الدويحى

عالم الروائى العربى الكبير عبد الرحمن منيف ،ليس فسحة أو نزهة سهلة، ففى هذا النتاج الملحمى على كل حال تختفى ،مدن وتبرز أخرى،وتختفى شخصيات وتظهر ملامح ، وأوصاف مستمرة بكثافة ،فى بعد زمنى وحوارى وتصورات ،مشبعة بروح احتمالات وغزارة التأويل معرفيا ومكانيا..

ولابد أن قارئ أدبه ورواياته ، بقيت فى ذهنه أسئلة وظلال ،لهذا الرواية الحية.. الرواية التى لم تكتب بعد..

كنا (أربعة) فى طريقنا إلى الممر الخارجى لمعرض دمشق الدولى للخروج ،نحمل أثقال أكياس كتبنا بكسل ،فصاح أحدنا:

-هذا عبد الرحمن منيف..!

وتحفظ ذاكرة المشهد الروائى العربى بامتياز :(الأشجار واغتيال مرزوق) .الرواية الشعرية المؤسسة ،فيما بعد لهذا العالم الروائى الملحمى الضخم،امتدت حتى الآن إلى حالة ثقافية تمشى على الأرض، بينما لم تكن فى حالة السرد أكثر من ثلاث ساعات ،هى المشهد العربى فى رحلة قطار ،وشاهدا على تحولاته فى ذات المكان والزمان..

وانفرطت مسبحة القلب والذاكرة على(قصة حب مجوسية) و(حين تركنا الجسر) ،(والنهايات) و(سباق المسافات الطويلة).

فى صباى قرأت كغيرى ،كل هذا النتاج الإبداعى من الروايات له، فى حالة بحث عن طرائق جديدة لفن السرد..

وأعجبت أيما اعجاب بشعرية (النهايات) وعشت حالات التشرد والعذاب والسجون فى(شرق المتوسط) و(قصة حب مجوسية).

أما رواية (الأشجار واغتيال مرزوق) فظلت الرواية التى بحق ،تجسد لى هم المثقف العربى ،فى أى مكان،.

وإذا كانت الرواية العربية ،قد شكلت على خارطة الإبداع العالمى حضورا،ممثلة فى شيخ الرواية العربية الأستاذ نجيب محفوظ ،فإن الرواية العربية اليوم، هى أكثر عافية وغنى ،ولديها من التراكم المعرفى زخم هائل، ما يجعلها تتابع السباق فى أى مكان وزمان ،من العالم العربى الممتد، من الماء إلى الماء..

فى مرحلة تالية ،كتب منيف بالاشتراك مع جبرا إبراهيم جبرا (عالم بلا خرائط) وظلت رواية (الأشجار واغتيال مرزوق) صرخة مميزة لرهان النقد ،والذاكرة فن السرد ،لينهض المبدع والمثقف الحقيقى الكبير من وسط هذا الركام ،ومن أودية أحلام الخيبات

والانكسارات والضياع ،ليكتب سيرة ملحمة تاريخية عن المكان والزمان ،ليدخلنا فى غرف (مدن الملح) الإنجاز الملحمى فى أجزائه الخمسة(التيه- الأخدود -تقاسيم الليل والنهار- المنبت-بادية الكلمات) ،وليكمل جزءاً من المشهد فى(أرض السواد) يريد أن يغرقنا فى(أرض ممتلئة بالحزن وروح المكان والفضاء والشخصيات والأجيال وتفاصيل السواد).. من ثلاثة أجزاء هى الإنجاز الأخير له..

وقف منتصبا مبتسماً لنا(الأربعة) بود، أخذنا واحدا واحدا إلى صدره ،وأخذناه مجاملة لعشر دقائق إلى مقهى جانبى فى معرض دمشق الدولى للكتاب ،كان المكان فجأة(!) قد ازدحم بالناس،من أدباء وأصحاب دور نشر وأصدقاء وقراء وإشاعة قد سبقته ،تنبئ عن أنه سيأتى..

ولظروفه الصحية ولظروف أخرى، ظلت احتمالاتِ مجيئه ضعيفة، رأيته يتدفق بعذوبة فى تواضع لا يكون إلا للكبار،تقدمتِ إليه وقدمت له نفسى ،وقلت :

- أريد حوارا؟.

ضحك فى خجل ،ولحسن الحظ كان أحد الأصدقاء الشعراء ،يلتقط لنا صورا..

بالكاد لجملة من الاعتبارات رتب لى موعداً فى صباح الغد ،ولمدة نصف ساعة فقط ،خشيت أن تذهب به(نكتة) ،بعد أن أطلقها أحد الأصدقاء علىّ، وهزت كيانى..

ضحك لها كثيراً ، وقال إن النهر الصديق (هو الذى يفيض وقت حاجة الزرع إلى مياهه كما- النيل-حاملا الطمى والخصب) أما النهر الشرس(هو الذى يفيض وقت نضوج الزرع،فتفسد المياه الكاسحة الكثير من المزروعات كما فى-دجلة والفرات- فى أغلب الأحيان).

عبد الرحمن منيف فى حواره معى كان نهرا من نوع (النهر الصديق)، نهر الروايات إذ يفيض- نوعا وكما من احتشاد فضاءات ، إذ يحمل فيضانه الطمى والخصب والبشارة، بحياة فيها كل الخير، وهنا نص الحوار:

١ -عملاق الرواية العربية أستاذ عبد الرحمن منيف خضت فى عمق الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية العربية، وعلى مدى حقب طويلة من الزمن ، وتعد فى المشهد الثقافى العربى المعاصر واحدا من أهم شهود العصر روائيا ..ما هى فى نظركم أزمة المثقف العربى ،هل هى أزمة وعى وحرية، أم انخفاض السقف وأزمة مؤسسات ،كيف تضئ هذا النفق؟.

-لا يمكن اعتبار سبب واحد- هو سبب الأزمة الراهنة ، هناك أسباب تراكمت عبر

أزمان طويلة ،المشهد الذى نعيشه اليوم فى حالة أزمة، نتيجة لتوافر تعارضات فكرية، وانعدام وضوح الرؤيا ولعدم تحديد الأهداف ،تحديدا واضحا ..وبالتالى أيضا هناك عامل الوعى ،وهو شئ تاريخى يتكون بالتراكم ،عبر فترات طويلة من خلال التصور الواضح ،ومن خلال عملية الاستمرار، يتكون مزيج من الوضوح ،ومزيج من تحديد أفكار وصور كثيرة ، وبذلك لا يمكن اعتبار أن هناك سبباً منفرداً ، ولا يمكن اعتبار أن المرحلة القصيرة، هى سبب الأزمة ، ويمكن القول إن كثير من العوامل التى تلاحظها فى الفترة الأخيرة، هى عوامل كاشفة، أكثر مما هى عوامل منشئة ،الأزمات والارتباكات التى صارت على أكثر من صعيد ، على صعيد تهاوى بنى سياسية وأفكار وعقائد وصيغ ،وحالة الارتباك وحالة التشوش ، هى مظاهر لأزمة مستمرة، ويمكن القول إن الحالة التى نعيشها اليوم جذورها ،تمتد إلى ما قبل عصر النهضة ،إنها عميقة ومستمرة ،الرواد الأوائل فى القرن التاسع عشر ،حاولوا أن يقدموا شيئا ،مواضيع فى نوع من الصيغ والأفكار الأولية، للأسف كانت بدائية أولاً.

وثانيا: لم تتواصل ،وتبدأ أى مشاريع جديدة من الصفر غالبا ،وبدون تراكم معرفى..

وفى فترات الانهيارات الكبيرة ،فى فترات الأزمات ، نلاحظ مثل هذه الحالة، وهى حالة طبيعية تقريبا ، يعنى أن كثيراً من الشعوب وكثيراً من التجارب الإنسانية ،تمر بها حتى تستكمل جزءاً مهماً، وكبير من أدواتها الفكرية وصيغها ،وأصبحت أقدر على مواجهة الأزمة، ولديها القدرة على إيجاد آليات معينة، للتعامل معها تمهيدا لحلها ،لذلك ربما الحالة التى نعيشها اليوم، إنما هى تعبير عن القلق ونوع من امتحان الاحتمالات ،ونستطيع بدقة مع الأيام أن نحدد أكثر الأهداف ويجب أن نكون متواضعين..

كنا نأمل أن يكون هناك حلول جذرية وسريعة للقضايا الكبرى بدون دفع الثمن ، وتبين لنا الآن أن كل شئ يجب أن يحدد بدقة، ويجب تحديد ثمن هذا الطلب، من أجل تحقيق هذا الحلم الآن بكل هذا التراكم والاستمرارية، يمكن إيجاد حلول ناضجة..

***حدثت انهيارات كبيرة على مستوى العالم، أصاب جزء منها عالمنا العربى على صعيد المفاهيم فى الفكر التقدمى ، هل تظن أن الوضع سيستمر طويلا أم أن هناك أملاً فى عودة اللحمة من هذا التشيؤ الكبير؟.**

-يجب أولا أن نحدد المفاهيم التقدمية ، ويجب أن نتحدث بدقة عن ماهية الأفكار التى نطرحها .

.فى وقت سابق فى الستينات والسبعينيات .كنا نتصور أن كل شئ أصبح ناضجا

،واقترب من التحقيق الكامل ،من حيث الأحلام والأفكار والرغبات فى النفوس،وفى عالم بلا ظلم فى عالم تسوده العدالة، واكتشفنا أن ما بيننا وبين تحقيق مثل هذه الأحلام مشوار طويل جدا ،وكما يقال دائما أطول رحلة تبدأ بخطوة ، ولا بأس أن تصغر أحلامنا قليلا، إنما تكون قابلة للتحقق،وقابلة للاستمرار والتراكم،ومسألة التقدمية والعالم الجديد،فإن النضال المستمر نوع من التراكم المستمر ،والإنسان بطبعه يأمل أن يكون الغد أفضل من اليوم ،بأن هناك عدالة أكثر رحابة فى استيعاب الكل، وتتاح فرصة التعبير والحياة والصحة والعمل فى منطقتنا العربية بشكل أفضل ،لم يتعلم الأغلبية وهذه قضية عامة..

حركة التقدم فى العالم هى حركة لولبية دائما، لا تصعد صعودا كاملا ، فيها نوع من الانتكاسات والتراجعات، فيها نوع من الصيغة نصف الدائرية ، لتبدو فى لحظات معينة فى حالة تراجع وانهيار ،إنما هى عملية التقاط أنفاس ،تمهيداً لقفزة أخرى وتقدم آخر وحتى فى غير الأنظمة الرأسمالية، نلاحظ أن مفهوم الديمقراطية بدأ بشكل آخر، هذا المفهوم فى الغرب تكون عبر قرون طويلة، ونقلات كبيرة ،ونوعية فى وسائل العمل ،وعمل الأطفال دون سن الثانية عشرة، وسن ساعات للعمل بست ساعات ،وخمسة أيام للعمل ومسألة التقدم هى أمر طبيعى ، المهم كيف نستفيد من الانجازات وتراكمها ، وأظن أن هذا هو التحدى الكبير الذى يواجه منطقتنا العربية.

***نريد أن نخرج من جفاف الفكر وأسئلته ..ونحن فى حضرة عالم الروائى الملحمى الغزير ،نعرف كيف بنى العملاق عبد الرحمن منيف من الهم هذا المنجز الضخم ، لكننا نريد أن نعرف أوجه التغير فى طبيعة أجيال أبطال عالمك الروائى .. أنت استمددت مادتك الإبداعية من هذاه الأجيال ،ما هى الشهادة بحق أبطال أجيالك الروائية إلى أرض السواد؟.**

هذا ولاشك سؤال كبير ومتشعب .. وبالتالى لابد أن نقتصر على ملامسة بعض الجوانب ، لأننا بالتأكيد لن نلم بكل شئ ، إنما على الإجمال عندما أكتب ، أحاول أن أتناول موضوعا محددا بذاته ، كنوع من التصور الأولى من خلال موضوع العمل ، ومن خلال الشخصيات والمناخ الذى يتولد فيه العمل ، تتضح الأمور تدريجيا ، وزعم كبير أن يكون مفترضا أن كل شئ واضحا منذ البداية، أو التصور الأولى للموضوع، أو معرفة التوجهات، أو التوجه العام الذى سوف يصل إليه العمل ، ولو افترضنا شخصية (ما) ربما ليس لها وضوح وملامح ، إنما مجرد دخولها فى الذات الروائية ، تتضح بردة فعلها مع الآخر ، ومع الجو الروائى وأنه بدأت تتغير بفعل العوامل المحيطة ، ثم تتكون

تدريجياً من هذا الهامش البدائي ، وتتحدد الملامح من خلال النمو ، مثل الطفل هو مخلوق جميل له كيانه، لكنه لايأخذ فاعليته إلا من خلال الحياة ، هناك اعتبارات تسرع وتضيف وتغير وتهول في الاشكال والموضوع والملامح..

ومسألة جيل فى حد ذاته هو جيل افتراضى ، أنا كاتب ليس لى قارئ محدد ، لى قارئ عام ، هناك أجيال مختلفة تقبل على قراءة رواياتى ، بهدف المعرفة والاكتشاف واكتساب معلومات ، ومحاولة افتراض صيغ وأشكال معينة . ومن(هون) انتفت فكرة أنها لاتعنى إلا نفراً معدود أأو شريحة محددة ، وتبين لى أن القضية فيها نوع من الفضول عند القارئ . ليعرف كيف تكون الحياة فى العالم الروائى وكيف نمت الشخصيات ، وكيف ومتى أخذت شكلها النهائى ، وهى مثل سباق التتابع الذى تحدثنا عنه البارحة ، كل جيل يسلم الراية للجيل الآتى بعده ، أجيال تتابع وتسلم الرايات لأخرى ، أى روائى هو إضافة لروائى قبله ، وهو فتح وشق طريق جديد..

*** عفوا دكتور .. أريد أن أحدد سؤالى .. فى مواقع أخرى ، وصفت أجيال عالمكم الروائى ، بأن الجيل الراهن هو جيل ثورة الاتصالات وجيل ثورة المعلومات ، وحول هذا سؤال سيرد فيما بعد.. ووصفت الجيل الأول من عالمكم الروائى بأنه جيل استمد أفكاره وطروحاته ونشاطه وفاعليته فى الحياة ، من الخرافات والغيبيات .. وفى مواقع أخرى قيل إنكم تكتبون أدباً تدوينياً بمعنى أنه أقرب إلى التسجيل التاريخى ، وتقول بأنك تضع الجذر وتبنى عليه حتى أقمت لنا هذا البناء الذى فيه الدور الأول ، والدور الثانى حتى الدور الأخير .. بعد هذا المشهد الطويل ، إنما الدور هى أجيال دكتور عبد الرحمن منيف فكيف تصفها ..؟**

* التصنيفات كثيرة ومتعددة من ناحية زوايا الرؤيا ، ومن حق الآخرين أن يصنفوا ويعيدوا تركيب العالم ضمن افتراضات معينة ، أنا كاتب تنتهى مهمتى عند ماأنتهى من كتاباتى ، الكتابة عندى تنتهى عندما تصبح ملكاً للآخرين ، وكل جهد مطلوب يوضع قبل أن تنتهى الكتابة، وكل فرضية يزاد امتحانها كاحتمال ، يجب أن تتم من خلال الكتابة وإذا أصبحت ناجزة ، يعنى انتهت..

ومن هنا يصبح من حق الآخرين ، أن يتعاملوا معها بالشكل الذى يفترضون أنه الصحيح ، وطبيعى من خلال المقاربة الصغيرة المباشرة ، كل طابق أو كل(دور) كما وصفت فى هذا البناء، يعنى له مواصفات ، له شكل معين ، له دور معين ، كتاباتى فى مرحلة ماضية لها أهمية تأسيسية ، الكتابة اللاحقة كتابات تضئ ، أخرى تقود القارئ إلى الكشف عن عالم أرحب ، عالم جديد ومختلف ، وعوالم الرواية تحديدا بمقدار ماهى

محددة بصيغة معينة للأشياء ، فإنها تفتح النوافذ للأسئلة الكبيرة ، والأسئلة بمقدار ماهى ملك للكاتب ، إنما هى أيضا ملك للقارئ ، ليعيد تشكيل الإجابات وفق قراءاته وثقافاته وتجاربه فى الحياة ، الكتابة المهمة هى التى تطرح احتمالات وأسئلة وتضئ جوانب معينة ، وتترك بعض الجوانب فى الظلال ، وهى عملية مشتركة ، بين اكتشاف أشياء جديدة ، وإعادة ترتيبها من جديد ، لتتناسب مع كم الوقائع المعدة والمستجدة..

وعودة إلى سؤالك عن عالم البدايات الأولى والكمبيوتر ، فبين هذين العالمين فسحة من الوقت والتراكم التاريخى الطويل ، لو نظرنا مثلا فى مقاربة إلى عدد الجامعات فى عالمنا العربى حاليا ، بما هو موجود مع بداية القرن العشرين ، لوجدنا فرقاً هائلاً وكبير وحتى بعدد الخريجين ، يعنى تحول مفهوم المعرفة والمعلومات والعلاقة مع الأخر ، وحجم العالم بأجزائه ، به اختلافات نوعية ، تعيد ترتيب هذا العالم ..؟

الأسئلة الكبيرة ، حينما تكون مفتوحة ، تكون أغنى ، ليس من مهمتى أن أقدم لك عالماً ناجزاً ، مهمتى أقدم لك كماً من الأشياء ، ومهمتك بحرية أن تعيد صياغتها ، وترتيبها فى ظل تجاربك وثقافتك وهمومك..

*** للأجيال خصوصيتها .. إنما لاشك فى أن عبد الرحمن منيف امتحن تفاصيل المكان فى سياقه الروائى ، وحلق فى العالم العربى فى آسيا بكامله ، لكن السؤال أى هم وأى قضايا تركتها للأجيال الروائية ..؟**

. الرواية العربية لها ميزة ، ولها تحد فى آن واحد ، إحدى مشكلات الروائى العربى ضمن هذا الركام الهائل من هموم ، وقضايا وموضوعات فيحار كيف يستفيد من الأشياء..؟

القضايا تعطى نفسها ، القضايا من التنوع والتوالد ، المشكلة ليست لدى الروائى فى اختيار الموضوعات ، فكلها بكر ، وكلها تعطى نفسها ، وتصيح تطلب من يستطيع أن يتعامل معها .. فى (أرض السواد) روايتى الأخيرة .. لو كانت الظروف مواتية ، لكنت قادرا على كتابة أكثر من عشر روايات فى هذا .. لأن لدى كماً هائلاً ، من المادة والموضوعات والشخصيات والحقب والفترات الزمانية والمكانية ، وعشت مثل نهر متدفق ، الصعوبة هى عملية اختيار الأولويات ، فى أيام الربيع وأنت فى حقل زهور ، تحاور والزهور حولك تتفتح أيها أنسب (؟) ، ميزتى أنا وجيلى أننا علقنا الجرس ، وفتحنا الباب إلى هذا العالم ، ودعونا الروائيين الجدد للدخول ، والكشف عن كم كبير من القضايا والهموم ، لمن يريد أن يختارها ويتعامل معها ..

*** النقد العربى هل تظن أنه امتلك أدواته وله حضوره الموازى والفعال إلى جانب**

الإبداع ، أم يعانى غيابا وقصورا على صعيد الأفكار والرؤية ..؟

هناك نقد ولاشك ، لكنه نقد تشوبه بعض النواقص والحيرة ، وليس لديه وسائل كافية للتعامل مع الأعمال الإبداعية ، وليس لديه اعتماد مناهج وأساليب محاورة ، نلاحظ باستمرار الفرق بين العملية الإبداعية ومايوازيها من نقد ، يغطيها ويقرأها ويشرح جوانبها ، ربما لعدم التناسق والانسجام ، ونلاحظ أيضا أن هناك بوجه الإجمال جهد، لكنه بحاجة إلى بلورة ، واختيار أساليب أكثر تحديد ووضوحا..

*** يعنى نقد مسلق ، ناقد يقترب من عالم عبد الرحمن منيف ، ربما يقترب مجاملة لكتابة مجانية ..؟**

جزء كبير من النقد العربى الراهن ، يعتمد على العلاقات الشخصية ، والنظرة ومايسمى الشللية ، والمجاملات والترويج لاتجاهات وصيغ معينة ، وهذه نماذج نقدية نفسها قصير ، وتأثيرها محدود ، للعلاقات الشخصية واتجاهات السياسة دور فى عدم جعل الموضوعية هى المقياس الحقيقى فى التعامل مع الآثار الإبداعية ، وكما يقال:(ماينفع الناس يبقى فى الأرض ، أما الزبد فيذب جفاء ..)

*** الروائى العربى عبد الرحمن ميف لانراك إلا كبيرا .. السؤال .. أنت كيف ترى موقعك على جغرافيا الإبداع العالمى..؟**

أنا واحدا من هذا الجيل الذى عاش تجربة المرحلة ، جيل ألقى على كاهله كم كبير من التحديات والأسئلة ، أسئلة عجيبة علينا أن نجيب عنها ، فى محاولة لتقديم نوع من الطروحات والصور ، لتتلائم مع الأشياء الموجودة ، ولايمكن توصيف الأمور باطمئنان ..

وكما يقال :(اللى إيده فى النار..) يصعب عليه تحديد نتائج الموقع الموضوعى ، والقضية مستمرة ، أسئلة وتحديات ، وهموم وموضوعات ، وبحث ، وإجابات ، وإحتمال إجابات ..

إذا لديك ورشة عمل كبيرة ، يمكن أن تجيب عن الأسئلة بقدرة ، المهم الاستمرار والعمل والصدق والإخلاص ، ودع النتائج فى وقتها .

*** وكيف ترى قربك من الجوائز العالمية ..؟**

أنا قبل كل شئ حينما أكتب ، إنما أكتب لأبناء شعبى ، وموضوع ترجمة أدبى لايعنى لى شيئا ، استغرب فى بعض الأحيان ، الاهتمام الواسع بترجمة كتبى لأن لها عالم وجو روائياً مختلفاً ..

– عفوا .. إلى كم لغة ترجمت ..؟

إلى اثنتى عشرة لغة ، والترجمة والجوائز نتائج تالية ، إذا الروائى أو أى كاتب إذا اعتبر الجوائز أساساً ، فلن يكتب شيئا ، الشئ المحلى هو الأساس عندى ، أنا عندما أكتب ، إنما أنظر إلى أبناء شعبى ، أنظر إلى الناس الذين يقرأونها ، هم أهم عندى من واحد قرأها فى اسكندنافيا ، أو فى أى مكان آخر من العالم ..

*** إلى جانبك فى المشهد الروائى العربى أسماء مؤهلة لجائزة نوبل .. أنت من من المؤسسات الثقافية العربية تظن أنها ترشحك لهذه الجائزة ..؟**

أنا إذا خلصت من المؤسسات العربية فحظى من السماء، أنا لست فى حاجة إلى ترشيح بلاد أو مؤسسات ، أنا حالة خاصة..

– أسمح لى ، المسألة ليست ورقة(يانصيب) فى الجيب ياأستاذ .. أنت تناولت فى ملاحم روائية معمقة جانبا مهما من المشهد العربى ..؟

= متى تنازل المبدع عن حق له ، فليس له حق حتى أن يحلم ، المبدعون الكبار لايتخلون عن أحلامهم ..

هنا توقفت عن إلقاء أسئلتى . ظللت لثوان أبحث عن نظارتى بين هذا الركام من الهموم والأوراق ، نظرت فى عينيه ، ابتسم لى برفق شجعنى على التقاط أنفاسى قلت له:

*** ماشاء الله .. أنا تعبت من الأسئلة ، وأنت لم تتعب ..؟**

ضحك ورد بعجلة:

أتصور كافى .. موهيك..؟

*** لاأريد أن أرهقك أستاذ .. بقى فى جعبتى سؤالان .. هل تصلك كتابات من المملكة العربية السعودية ، هل تقرأها ، وكيف ترى النتاج الأدبى..؟**

أنا أراهن عليه ، لدى توقعات كبيرة له ، لدى أمل كبير فى الحركة الإبداعية للمرحلة الحالية ، وتبرز فنون الشعو والقصة القصيرة ، وهى حالة مفهومة ، يمكن تحليلها وتفسيرها ، ولدى إحساس بأن الكتابة الأدبية فى هذا البلد لها احتمالات كبيرة ، سيتفاجأ بها الكثيرون فى المستقبل المنظور وربما المتوسط ، ولم يتوقعوا صدورها من هذا المكان ، ولاحظت كماً كبير من المؤشرات من خلال متابعة مايطرح من كتابة ، ونوع الحوار والنقاشات التى يصل صداها ، لتشعرنا أنها فى حالة مخاض ، وينتظر لها نتائج إيجابية مهمة ، وستتحقق بالمثابرة ، والصبر ، والجهد ، والسهر .. الآن توجد بشائر ، تعطى مؤشرات ، بأن هناك حالة اختمار ، لكتابة جيدة..

*** أخيرا دكتور .. نحن نعيش ثورة المعلومات ، وجيل الانترنت ، هل تتوقع أن**

يصمد الكتاب كو سيلة ثقافية ..؟!

الكتاب الورقى يواجه تحدياً كبيراً ، ولو نظرنا بعين الاعتبار لما يجرى لوجدنا :

أولا: أنه إلى جانب الكتاب وجدت وسائل تعليم عديدة ، واستطاع أن يصمد ويستمر ، وقد ظهرت الصورة المطبوعة ، ثم الصورة المتحركة السينمائية والتلفزيونية ، ثم الكلمة المسموعة وظل الكتاب موجودا للمتعة والفائدة معا..

ثانيا: رغم أهمية ماتوفره الوسائل الحديثة خاصة الكمبيوتر ، فان الإنسان لايتعامل معه مباشرة قبل الورق ، ثم يتم تحويلها إلى شكل من أشكال الكتابة ، والكلمة المطبوعة المقروءة عنصر أساسى ، والوسائل الحديثة لخدمتها بشكل أسهل وتضمن وصولها بشكل أسرع ، لأنها عوامل مساعدة ، هى تقنية مساعدة من يمتلك التكنولوجيا فى العالم مثل اليابان والغرب ، لديه أعلى معدلات ساعات للقراءة ، هم الذين لايزالون،وا يقرءون المسألة تكاملية هى نوع من العادة نوع من التقاليد يتم تلقينها ونحوها منذ الصغر..

القراءة نوع من الصيغ الإنسان يحددها ولديه خيار فى نوع القراءة ونوع الوقت الذى يختاره ، دون أن تكون مفروضة كصورة محددة ، القراءة للقارئ تعطيه خيار كمتلق وشريك ليعيد صياغة الأشياء ، ويشترك فى إعادة تكوينها ضمن أنساق لها خيارتها..

فجأة باغتنى بسؤال ..

* **كم لديك أولاد ..؟**

كذبت ، وإلى الآن لاأعرف سبب كذبى ، فهم أضعاف ماذكرت ، قلت له :

- ثلاثة ..!!

ضحك وكأنه اكتشف كذبى فقال بحميمية:

* **أسمائهم ..؟**

ابتسمت بخجل ، أدارى خجلى وكذبى ، وقلت:

- الأول سميته باسم أحدْ أبطال روائى عربى ، وذكرت له أسماء الروائى العربى ، وبطله ، واسم ابنى..

والثانى .. سيمتها باسم روائية عربية ، وسميت له اسم البنت والروائية ..

فانفجر فى ضحك عال ، رأيت سنواته التى تقترب من السبعين تهتز ، وكأنه يؤذن للآخرين الذين ينتظرون حول طاولات مجاورة هذه اللحظة ، ليقبلوا عليه أدباء وقراء يحملون كتبه ، أكتشف أن النصف ساعة التى منحنى ، قد امتدت إلى ساعتين وثلث ،



رأيته يبتسم لطلبات الكتابة فى صحف عربية ، أو لإجراء حوارا مع أدباء دون أن ينبس بكلمة ، ومع دور نشر تطلب منحها شرف طباعة شئ من نتاجه الأدبى ، رأيته يلتصق فى تواضع الكبار بجدار وينكمش فى كرسيه ، وفى هدوء وصمت وابتسامة آخذة على جبينه ، أكاد أوقن أنه جزء من الجدار ...

يقترب قارئ منه ويسلم عليه ، ويقدم له إهداء على شئ من رواياته ، يسأله لماذا هذا الكتاب ، وماذا قرأت ، وسأل قارئ لأدبه بمداعبة :

– هل تعرف أحداً من أبطال هذه الرواية ..؟

وفجأة وقف..

نظر فى وجهى وقال: سلم لى على الشباب هناك ..

غاب الروائى العربى الكبير فى زحام أجياله من رواد معرض الكتاب ، وكنت أبحث عن نظارتى وألملم الصور والكلام والأوراق والأفكار.

رأى

أيها الفلسطينى
من عساه أن يرقص أفضل منا ؟

قاسم مسعد عليوة

الدم الفلسطينى يراق ونحن لانأتى فعلا سوى الرقص ، لانملك شيئا يفضله ، ولانجيد فى هذه الدنيا من فعل سواه.

أدباء؟ قد نكون ، سياسيين ؟ ..ربما . مثقفين ؟ أحيانا ، لكن الحقيقة التى لالبس فيها هى أننا بالأساس راقصون . طوال الوقت نرقص . ننظر إلى المرايا ونرقص . نخرج إلى الحلبة ونرقص . نسعى لاحتكار الأضواء البعيدة عن وهج الانفجارات . لاهم لنا إلا أن نكون مرئيين من جميع الزوايا . أينما ينظر المشاهد يرانا .. ساخنين .. ملتهبين .. نميد ونتثنى بما يتفق والنغمات الصادرة عن عمليات الذبح والتقتيل مع الأنين نئن . مع الهدير نهدر . نقفز أحيانا ونطير أخرى . ندور حول أنفسنا . ندوم الهواء .. نرعد . ثم نمد أيدينا باتجاه الجمهور .. الجمهور العريض .. الجمهور الحاضر .. الخفى .. إذا لم تهو إلينا الأفئدة اقتحمناها.

نجمع برقصنا ، ونحن فى مأمن من الرصاص الحى وطلقات المطاط ، آلاف التوقيعات لحملة المليون توقيع . نخاطب السكرتير العام للأمم المتحدة . نناشد الزعماء العرب . نحاضر ضد الصهيونية . نقيم الندوات وننظم المعارض . نستدفئ بالصهد الذى كان ، لشعراء المقاومة الذين كانوا . نلهث إذ نتناقش فى محاور

المؤتمرات التى خصصناها للشجب والإدانة ننثر رذاذ أفواهنا فوق الميكروفونات ونحن نصيح بعبارات التأييد للانتفاضة ومشعليها . نقيم المهرجانات الصاخبة ونستضيف لها أصحاب المبادئ من الفنانين . نهتف فى المظاهرات العاصفة ونحرق العلمين الإسرائيلى والأمريكى . نحض على مقاطعة كل ماهو صهيونى وبعض مما هو أمريكى . نحرر القوائم السوداء ونمنع التعامل بالشيكل .. فيما يزداد الدم الفلسطينى المراق غزارة يندفق من الأجساد المثقوبة لتوها ومن الشرايين والأوردة المعجونة باللحم والعظم ورمل الطريق .. يسيل ويتخثر وتتتابع موجاته بطيئة لكن قوية. يسيح ويفيض من فوق ومن تحت عتبات الحدود . يعبر قناتنا المحمرة دوما ويأتينا فنخوض فيه بأحذيتنا .. ماالفرق بيننا وبين حاملى المقاليع وحارقى الكاوتشوك ومفجرى السيارات المفخخة؟ ماالفرق بيننا وبين المفقوءة عيونهم ، المبقورة بطونهم ، الساقطين فوق الأسفلت ، ولافظى أنفاسهم داخل عربات الإسعاف ؟.. ماالفرق؟

إذ نجتهد فى الرقص نسأل أنفسنا من عساه أن يكون أفضل منا فى الرقص؟ .. من هو الأكثر إخلاصا؟ .. من يضحى مثلنا؟ .. بشكائر الأرز نتبرع ، بالملابس الفائضة عن الحاجة ، ملابسنا وملابس أولادنا بالبطاطين المخرقة ، بالعملات عديمة القيمة ، وبالأدوية التى نتنازل عنها وبنا مابنا من خصاصة.

كاميرات التليفزيون تأتينا . تنقل تفاصيل حركاتنا . تتابع انقباضاتنا وانبساطاتنا . فخرا نتيه ، لكننا نغطى ملامحنا بما يليق من تعبيرات . معرقين لاهثين ننظر إلى عشرات الأيدى المشغولة باختزال أوصاف رقصاتنا على أوراقهم ، والمعنية بتقليب وتبديل شرائط مسجلاتهم الخاصة ، أو المجتهدة فى التقاط أفضل الصور الفوتوغرافية لصحفهم . يخطفنا مقدمو البرامج ومذيعو الراديو والصحفيون من حلبة الرقص إلى حلبة التسجيل .." كم أنتم شجعان" ..كم أنتم كرماء " . هكذا تكون المساندة" . يتملقوننا بألسنة وعيون يثقلها اهتمام حقيقى أو مصطنع.. أسهل الطرق لملء شرائطهم وأوراقهم . هم أيضا يرقصون . يعلمون أن الواحد منا يتلبسه مائة راقص أو يزيد إذا مارأى نفسه فى بؤرة اهتمام الاعلام

المرئى والمسموع والمقروء . ونحن نجاريهم . نخطب ودهم قبل ود الجمهور العريض الذى نستهدفه ونقدم رقصاتنا له . نفعل ما نفعل باقتدار . نفعله ونحن نعلم أن الشرائط والأوراق ستخضع لمقصات المونتاج ورؤى المعدين والمخرجين وتعليمات الرقابة وصرامة الرؤساء وتوجيهات الساسة المسئولين .

المنشور عن رقصاتنا فى الدوريات ساخن .. ملتهب .. بين السطور تهدر موسيقانا .. مقدماتها شظايا من قنابل وخواتيمها شواظ من نيران .. فى الراديو نسمع دبيب أقدامنا وتصفيق أكفنا وصراخنا ولانحس بحمية الأجساد إذ تنتفض ؟ أو تتوتر . أما الشاشات «فلا تعرض إلا الهادئ المستكين من تعبيرات أجسادنا وملامحنا .. يحدث هذا فلا نبتئس لأننا نعلم أن هذه هى شروط المراقص العامة.

الشرطة لاتعارض . تتفرج أحياناً ، وتمنح التقارير المحبوسة عنا أحياناً أخرى وحكامنا مضغوطون ، أبصارهم زائغة وموزعة بين رقصاتنا ورقصات البنتاجون والـ سى أى إيه والبيت الأبيض ولوبى الكونجرس البغيض . مشغولون بالطاقم الأمريكى إذ يغير طاقم فيلمه الجديد . سيأتى بالطاقم الذى قدم عرض حرب الخليج الثانية ، فأى سيناريو سيكون من نصيب انتفاضتكم الثانية ياأهل فلسطين.

ومثلما هى الحال فى كل ملمة تنجذب الأحزاب المحلية فترسل ممثليها إلى الحلبة التى نسيطر عليها ليشاركو نا الرقص . يجتهدون للانخراط فى أداء نفس الرقصات ، نفس الحركات . هز البطن لايصلح هنا ، فلا مجال لتملق الغرائز ، لكن لابأس إن اهتزت عفواً أو ترجرجت الأرداف فالطبع دائماً غالب والعرق دساس . حتى اليمين ، بكل فصائله ، يأتينا ولايخشى تهمة الرقص مع اليسار .. الفاجر .. الكافر .. المتعامل مع موسكو .. وموسكو بطريقتها تمارس فعل القهر على الفلسطينيين - حلفاء الأمس - ومن الظل تشارك الظالمين رقصتهم وفرحتهم،وبطريقتها ترسل قبلات الإعجاب للصهيونى الذى أكرمها بهجرته منها إلى فلسطين .

والدم الفلسطينى لطخة مطبوعة على غلاف المجرة التى تحتوينا .. يهمى علينا

مع مطر الشتاء ، ونتنفسه فى هواء الصيف . نشربه مخلوطا بمياه كل الفصول ، ونأكله مع كل ورقة خضر وثمرة فاكهة وحبة بقل .. والكل يرقص .. يهدأ أو يصخب .. يمارس رعبه أو فرحه.. إلا الفلسطينى الذى يترنح ويتصالب ويكبو وينهض وجراحه تشخب دمه . ربما بدا فى تشبثه بأهداب الحياة بعض ملامح من رقص . لكن البون شاسع بين رقصة الذبيح ورقصة الجزار . والجزارون كثر . معهم السكين والمدشة ، الدبابة والصاروخ ، ورقة الفيتو وحقيبة المفاوضات . يلوحون بأسلحتهم ويرقصون . يدفعون بأذرعهم للأمام مهددين . يزفرون زفير نافدى الصبر . محنقون . موتورون ، منتفخو الأوداج . متورمون . ونحن نرقص . نعلم أنه لكى نقترب منهم لابد أن نرقص ، ولكى نغضبهم لابد أن نرقص ، ولكى نفاوضهم لابد أن نرقص ، ولكى نرضيهم أو نبهرهم لابد أن نرقص.

هذه هى لغة العصر.. اللغة الجديدة بين التابع والمتبوع .. لغة الخدر والاستفاقة.

" إذا كنت تريد أن تدخل ساحة الحوار العام وتجذب الانتباه نحو خطر أو خوف ما ، أو تساعد إنسانا يعانى من الاضطهاد ، فكيف تفعل ذلك اليوم دون أن تكون راقصا أو أن تبدو كذلك ؟ .هذا ماقاله فانسان لفونتيان فى رواية (البطء) لميلان كونديرا . كونديرا الذى أخذ يرقص ويرقص لينال جائزته ، المخضبة بدماء الفلسطينيين ، من يد الجزار الإسرائيلى .. مثله مثل كثيرين .. منهم للأسف عرب ، ومنهم - يااللخزى - مصريون.

الكل يعيش زيفه .. الكل ينشد المظهرية والاستعراض .. الكل - بطريقته - يمارس الرقص .. فى الظل أو تحت الأضواء .. أمام المرايا أو فى قلب الحلبة . نحن أيضا لانملك إلا أن نستمر فى رقصنا . لانملك إلا حرصنا على أن نكون مرئيين من جميع الزوايا ، فبالرقص .. بالرقص فقط نكون فوق مستوى اللوم . ومن يستطيع أن يلومنا ، من يقدر على توبيخنا ، من .. سوى الفلسطينيين .. وحدهم ؟!

الديوان الصغير

هـرّة أبى

حكايات أرمنية



زوهراب عنتبليان

ترجمة: نزار الخليلى

تقديم: عادل الدمراوى

مقدمة

الصدق هو القيمة الجوهرية المحورية التى تدور حولها أقاصيص صوت من الجبل التى رواها الكاتب زوهراب عن والده جورج عنتبليان وهما سوريا الجنسية منحدران من أرومة أرمنية اعتصمت بقمم جمال شمال اللاذقية التى صارت ملجأ لعديد من الأرمن الساعين إليها بحثا عن الرزق أو هروبا من اضطهاد وتميز عرقى أو مذابح دموية جرت على أراضى الساحة العثمانية التركية من بعدها.

وتتميز هذه الأقاصيص أو بالأحرى الحكايات بأنها أقرب إلى النوادر والطرائف التى ترويها أو تمثلها شخصيات شعبية اتسمت بالجماهيرية فى تلك الأصقاع المنعزلة الموحشة التى كانت قراها على قدر من البساطة تصل إلى حد البدائية تتناثر أنحاء بيئة طبيعية قاسية المناخ، خاصة فى الشتاء ،ووعرة المسالك غير الممهدة لبعدها عن العمران وانعزالها عن الحياة العصرية مما أدى إلى اكتساء الحياة اليومية فى تلك القرى بطابع من شظف العيش وقسوته فى بيئة برية هى إلى الوحشية أقرب ،كما سيظهر فى أقاصيص الكتاب.

وفضلا عن قيمة الصدق الثرى بعذوبته الذاتية فقد اكتسبت تلك الحكايات بالبساطة العفوية المذهلة والتلقائية الفطرية أبعادا خلابة الجمال على هذه الحكايات التى رواها الكاتب نقلا عن واقع عاشه وعاينه أو عن روايات نقلت إليه أو ترامت إلى سمعه من مختلف المصادر التى لا يزال بعضها قابعا فى مساكن بلدة كسب القديمة التى تكاد أن تكون قد قدت فى صخور الجبل الذى يطوقها بذراعيه المتوحشين أو فى البقايا المندثرة للقرى الأصغر والضيع الأقل حجما والتى كانت تحلق حول قرية كسب مركز الحياة الرئيسية فى تلك البقاع البرية الرابضة فوق قمم الجبال.

وفضلا عن قيمة الصدق العذبة والسلاسة السهلة والتلقائية الفطرية وجميعها قيم أصيلة تعبر عن واقع مغرق فى محليته شديد الالتحام بإقليميته ،مما رفع هذه الحكايات إلى مصاف إنسانى سامق ،فقد حفلت هذه الحكايات بنوادر مبهجة للقلوب التائقة إلى مثل هذه النماذج الحية نادرة المثال ندرة رفاهية الحياة الرخية فى تلك الأصقاع التى دفعت ببعض نماذجها إلى الفرار من هذه الوحشة الوحشية وشظف



العيشة إلى بلاد العالم المختلفة ، عاد منها بعضهم ليقدم هو الآخر صورة شديدة الطرافة بالغة التفرد للضياع الذى عاناه هؤلاء الناس والذى صار مزدوجا بفشل الهاربين منه فى مسعاهم .

وتنساب الحكايات فى يسر وسلاسة عذبة، تيمتها المشتركة هذه الفئة المطحونة من البشر الذين عانوا الأمرين من الحياة فى معقلها الجبلى أو قل معتقلها الطبيعى الذى حبست نفسها فيه تحت ضغوط العوامل التى أتى الإلماح إليها والتى تعتبر بهذه المثابة نموذجاً فذا فريداً للحكايات الاجتماعية ذات الطابع المأساوى والمضمون الطريف فى ذات الوقت أى أنها ضرب من التراجيكوميك أقرب منها إلى المسرحية التى تحكى فصولها حياة هؤلاء البشر المشتتين ،الجديرة بأن تسجل والقمينة بأن تنال ما تستحقه من ذيوع وتقدير وتكريم.

ع.د

هرة أبى

قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، نزل فى فندقنا بكسب ضابط فرنسى ترافقه أسرته ، مع كلب تبدو عليه الشراسة.

قام أبى باستقبال الضيف ،وعرفه على نفسه- بفرنسية الساقى « خاجو » الركيكة- كما عرفه على المكان ، ثم أوعز لاتخاذ الترتيبات اللازمة لإقامة الضابط وأهله ،ولم ينس أن يخصص ركناً للكلب ربط فيه ،وكانت عينا الكلب الحمراوان تراقبان ،خلال ذلك ، هرة الفندق المدللة، وهى تروح وتجئ غير عابئة بأحد ممن حولها.

ثم إنه خطر للضابط الفرنسى أن يستمتع بمنظر الهرة والكلب وهما يتقاتلان ،فقام بفك رباط كلبه .. الذى ما كاد يتحرر من قيده حتى أنقض على الهرة دونما هوادة.

أرتاعت الهرة ، وانطلقت تعدو ناجية بنفسها ، وتسلقت شجرة فى فناء الفندق ، واستقرت على غصن فيها كالآمنة ،والضابط الفرنسى يقهقه فى ذلك عاليا وهو يتملى النظر من الهرة المذعورة والكلب المستوحش ، وبدا الكلب وكأنه استوعب مطلب سيده ،فلبث تحت الشجرة مترقبا ،وهو ينبح بصوت منكر.

ولكن بدا ،أيضا ، أن الهرة لم تحتمل عبث هذا الغريب الذى حل فى الفندق ..فإذا هى تتحفز ، مستجمعة كل قوتها ، لتنقض من أعلى الشجرة، على غير توقع ،وتحط كصخرة على ظهر الكلب ، وتتشبث بجلده ، وتروح تعمل فيه أنيابها.

بوغت الكلب، وأخذه الذعر .. فجعل يعدو فى الفناء كالمسعور تخلصا من الهرة الممسكة بظهره . ولكنها لم تتخل عنه ، بل زحفت إلى عنقه ،حتى وصلت إلى وجهه ، وهى تعمل فيه تمزيقاً!.

وخشى الضابط على كلبه ، فهرع إلى أبى يستنجد به، بإشارات من يديه ورأسه ، ومستعينا بلغة الساقى الركيكة ، ملتمسا تحرْير كلبه العزيز من براثن هذه الهرة الفظيعة!.

وأبى يتبسم ، ويزغرد قلبه فرحاً.

وبمساعدة العاملين فى الفندق ، تم تخليص الكلب الذى كان قد ضمخ بدمه.

ثم إن الضابط الفرنسى سأل أبى ، متعجبا ، كيف أنه استطاع أن يروض هرته

ترويضا جعلها أقوى من النمر؟!.

فأجابه أبى : قطتنا لا تؤمن بمقولة من صفعك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، بل :العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم!.

فأفحم الضابط الفرنسى ، ولاذ بغرفته لا يلوى على شئ.

مبيد حشرات جديد

ذات صباح ربيعى بديع، خرج أبى من البيت متوجها إلى قرية «قرادوران» لشراء شئ من التبغ ، من عند صديق له هناك يدعى «أفيديس تيتيزيان».

فمر ، فى طريقه ، بفلاح يفلح الأرض بمحراث يجره ثوران قويان.

فسلم أبى عليه ،وجلس بقربه ، ثم أخذ يلف سيجارة ليدخنها وهو يتملى النظر من سحر الطبيعة ، التى بدت له أشبه بلوحة فنية تحت أشعة الشمس الدافئة وأريج الأزاهير العطرة.

كان الثوران يجران المحراث بخطى وئيدة واستسلام أعمى ، يشقان الأرض التى تتموج تحت سكة المحراث ، محتضنة أحلام فلاح طيب مستبشر بالخير .كان «العم كيورك» يقود الثورين ،والمسّاس فى يده، يخاطب الثورين الطيعين ويشجعهما بكلمات حلوة وكأنه يخاطب ولده.. وأبى يراقب هذا المشهد مبتهجاً ،وهو يسحب نفسا من سيجارته بعد نفس حتى رئتيه ، ثم يمج الدخان موحداً الله، مثنيا على قدرته وجميل صنعه.

فجأة حدث ما لم يكن فى الحسبان :قفز الثوران ،فقطعا قياد نيرهما ، وراحا يعدوان عدوا جنونيا باتجاه أعلى الجبل.

دهش أبى . على حين أدرك الفلاح أنها« ذبابة البقر» ،التى تلسع البقرة فتؤلمها أيما إيلام.

اضطرب أبى كثيرا ،وأشعل سيجارة ثانية واقترب من الفلاح يواسيه محاولا أن يخفف من وقع الحادثة عليه .وهذا يتابع بنظره ما يعانيه ثوراه العزيزان من أذى هذه الحشرة، التى يعرف أبى جيدا ما تسببه من ضرر لحيوانات الفلاحين.

هنا« حبكت النكتة» عند أبى المتمرس فى حبك النكت . قال وهو يتصنع الجد:

-من المؤسف أنك لم تسمع ، يا عم كيورك ،بالمبيد الذى استحضره « القهواتى ميناس » والمعدّ للقضاء على هذه الذبابة!.

فتح الفلاح الطيب عينيه على سعتهما ،وحدق فى أبى متعجباً ، وقال:

-حقا ، أنا لم أعلم به ولم أسمع .هل قلت إنه عند القهواتى ميناس؟ ومن أين أتى به ؟! (ويهز رأسه فى أسى) إن أحدا لم يحدثنى بعد، عن هذا المبيد!.

قال أبى ممعنا فى جديته:

-أجل ، يا صاحبى ! فلتعلم ،الآن ، أن مبيد ذبابة البقر قد تم اكتشافه ،وهو عبارة عن مسحوق بنى اللون زهيد الثمن .فلتذهب غدا إلى كسب، تتناول فنجان قهوة عند ميناس وتحصل على المبيد!.

فسأل الفلاح الساذج:

-وكيف يستعمل ، هذا المبيد ، يا جورج؟

أجاب أبى:

-بسيطة ! تنثر المسحوق على ظهر الثور وتدلكه جيدا حتى لا تأخذه الريح.. ثم إن رائحته هى التى تطرد الذباب!

فأعلن الفلاح الطيب فرحته:

- يالسعادتى!

فى صباح اليوم التالى كان العم كيورك فى كسب ، يقرع باب مقهى ميناس الكبير.

كان العم ميناس يعزف على ربابته ذات الأوتار الثلاثة ،فتركها وقام يفتح باب مقهاه ،العظيم القديم ، الذى غير الدخان لونه على مرّ السنين . فكان أن استهل نهاره بالعم كيورك ،الفلاح القادم من قرادوران:

-صباح الخير ، أخ ميناس.

ردّ ميناس:

-ألف صباح جميل .تفضل .ماذا تشرب ؟ قهوة أم شاى؟.

بادره الفلاح يقول:

- لا هذا ولا ذاك. جئتك أشترى مبيداً لذبابة البقر!.

فاجأت هذه الكلمات القليلة القهواتى ميناس . واستعاد قولة الرجل وكأنه لم يفهمها فأكد الفلاح:

-قلت أريد مبيداً يطرد تلك الذبابة التى تجنن البقر وتجعله يهيم فى الجبال!.

فأدرك القهواتى أن أحدهم قد مزح مع الفلاح الطيب هذه المزحة، وحزر أنه أبى. فاستمهله لحظة ، ودعاه إلى الجلوس ريثما يحضر له المبيد . ودخل إلى المطبخ ،فأعد فنجان قهوة لزبونه ،وقدمه إليه . ثم عاد فملأ زجاجة بالماء المتبقى من غسيل الفناجين ،ومزجه بالرماد ،وقدم الزجاجة إلى الفلاح ، الذى أخذها شاكرا.

-كم تريد ثمنا لها ؟.

-لاشئ .فأنا لا أتقاضى من الفلاحين ثمنا لهذا المبيد .ولست أشك فى أنك سوف تقدم لى ، غدا أو بعد غد ،هدية من تبغك الفاخر!.

-على راسى وعينى.

قال الفلاح ذلك، ومضى بالزجاجة مسرورا ، ولسانه يلهج بالشكر والامتنان.

بعد يومين التقى القهواتى بأبى فى السوق ،فبادر يقول له:

-ويحك ، يا جورج ! أى مبيد ابتدعه خيالك الخصب وصببته على رأسى ؟ أتراني قهواتيا أم صانع أدوية؟.

قال أبى ضاحكا:

-وماذا فعلت ، يا أخ ميناس ، للرجل؟ لا ريب أنك أعطيته دواء ، دواء ما، فأنا أعرفك جيدا :قلبك طيب، ولا ترضى أن يرجع أحد من عندك صفر اليدين.

فأجاب العم ميناس:

-طبعا. أعطيته المبيد ،واستفاد منه لسلامة نيته، بدليل أنه أخذه ثم لم يرنى وجهه ..لله درك ، يا رجل ! أنت تفعل الفعلة ،وتحملنى تبعتها!.

الولد الضائع

عندما كان أبى يعمل نجارا ، عهد إليه ، مرة ، بإصلاح منجور بيت استأجره معلم مدرسة بروتستانتي وصل حديثا إلى كسب من لواء الاسكندرون.

وبدأ أبى يعمل ، وراء المنصة ، فى إصلاح الأبواب الخشبية المخلعة والنوافذ التالفة ، ويركب لها بديلا عن البلور المكسر ، الذى وضع عشرة ألواح منه فوق طرف المنصة وهو يعمل بهمة ونشاط ، على حين كان معلم المدرسة الفضولى ، يقف إلى جواره ولا يريد أن يفارقه أبداً، بل كان يقوم بمساعدته ببعض عمله . .وقد جهد أبى فى أن يطمئن «السيد هرانت» -وهذا اسم المعلم-ويؤكد له أن العمل سينتهى على ما يرام ، ولكن المعلم كان حريصا على أن يبقى إلى جانبه ، وعيناه ترفان مثل تلميذ خائف.

وفيما كذلك وقعت يد المعلم على الواح البلور الموضوعة على المنصة ، فهوت إلى الأرض وتهشم بعضها.

فقال معلم المدرسة مرتبكا.:

-لعن الله الشيطانْ. قاتلنى الله على ما فعلت!

فطيب أبى خاطره:

-كسر البلور خير ، يا أستاذ ! لا تحزن . غدا أطلب ألواحا غيرها ، وأركبها دون تأخير . لا تحزن أبداً .فالحزن يضر بالصحة.

رد المعلم:

-أجل، أجل، الحزن يضر بالصحة.

فى هذه اللحظة عينها ، سمع صوت امرأة ، فى الخارج ،وهى تصرخ معولة، ثم تندفع إلى الداخل ، صائحة:

-الحق بى ، يا هرانت! «جانو» مفقود ، هيا نبحث عنه .

وبدلا من أن يهدىء المعلم من روع زوجته ، جن جنونه هو الآخر ،وبدا أشبه بعاصفة فى بحر.. وخرجا يتباريان بالصراخ ، بحثا عن وحيدهما المدلل الضائع ،جانو.

ورأى أبى أن متابعة العمل فى هذه الحالة غير مقبول ، فترك مابيده ،ولحق بالزوجين ، يستطلع حقيقة ما حدث ، أو.. ما يمكن أن يحدث .وفى الخارج سمع أهل الحى كلهم وهم ينادون على جانو.. وجانو غير موجود!.

فأخذ أبى يقول لهم مهدئاً:

-يا جماعة ! لا حاجة لهذا الصراخ.من يسمعكم يسخر منكم .حيثما يكون الوالد، الآن

،فإنه عائد إليكم بعد قليل . ربما التقى ولداً فى سنه فرافقه .لسوف يعود .لا حاجة لهذا الصراخ كله!.

فقال المعلم معترضاً:

-ولكن ابننا لا يفعل ذلك. لم يعتد الخروج من البيت .إنه ولد مهذب . ولا شك أن مصيبة نزلت به!.

قال أبى:

-انتظروا قليلا .ولسوف يعود ابنكم ، ولا شك ، قبيل المساء سلموا أمركم إلى الله العلى القدير ، خصوصا وأنتم إنجيليون .اصبروا.

فردّ معلم المدرسة:

- إنجيليون ،أجل ، ولكن هذا شيئاً آخر . ولابد لنا أن نبحث عن جانو ،الآن.

لم تكن هنالك مجار لتصريف المياه المالحة فى بلدتنا فى ذلك الحين ، فكان صاحب كل بيت يحتفر جورة فنية لتصريف مخلفات بيته ويغطيها بألواح من خشب .وكانت هذه الأخشاب تتداعى مع مرور الزمن ، ويتحطم بعضها ،فينكشف جانب من الجورة ويظل دون غطاء .وحدث مرة أن كلبا وقع فى إحدى هذه الجور ولم يستطع الخروج فقضى غرقا .كما اتفق لرجل راشد أن سقط فى إحداها ،وكاد يغرق لولا أن تنبه إليه الجيران فهرعوا إليه يسحبونه من الجورة وهو فى آخر رمق!

فاتجه ذهن المعلم إلى هذه الحفر، وسرعان ما جاء بعصا طويلة وراح يحرك مياهها النتنة، مناديا:

-جانو.. جانو!

وهو يتنقل بين حفرة وأخرى .. ولكن لا أثر لجانو!

عند المساء ، أقبل جانو وبصحبته واحد من رفاقه!

وما كاد الأب يراه حتى أسرع إليه يضمه إلى صدره ،ويغمغم بحنان:

-ولدى الحبيب!.

تاجر الجلود

ذات يوم، نزل فى فندقنا قادم من دمشق.

وما إن تعرف على أبى ، حتى أعلمه أنه معنى بتجارة الجلود ، وأنه جاء إلى هذه المناطق قصد أن يلم بأنواع الحيوانات البرية التى تعيش فى الجبال والغابات .فلم يبخل أبى عليه بما يعرف فى هذا المضمار ، وراح يعدد له أسماء عشرات الحيوانات البرية والأهلية التى تعيش فى المنطقة، واصفا جلودها ،مادحا إياها ما تستحق من مديح.

ففرح النزيل الجديد بذلك فرحا عظيما ،وأعرب عن رغبته فى أن يحظى ،خلال مدة إقامته فى الفندق ، بنماذج من جلود هذه الحيوانات.وأخرج من محفظة نقوده ورقة من فئة مئة ليرة ، ووضعها فى كف أبى ،وهو يقول:

- يا معلم ! أرجو أن تبعث ،بأسرع ما تستطيع ، صيادين إلى الغابات التى ذكرت ، ليصطادوا لى ما يمكنهم من هذه الحيوانات ، وأنا أدفع لهم فيها ما يستحقون من ثمن.

فألقى أبى نظرة إلى ذات المئة ،وقال وهو يبتسم :

-سيدى المحترم ! يسعدنا أن نلبى طلباتكم بأقصى ما نستطيع من السرعة .أعدك بأن أقدم لك، بعد يومين لا أكثر ،خمسة عشر جلدا على الأقل من أفخم الجلود!.

فشكر التاجر الدمشقى أبى على حسن تجاوبه ، وتمنى التوفيق للصيادين.

وما هو إلا يومان ،حتى كان الصيادون يتواردون إلى الفندق ويطرحون فى فنائه ما أتوا به من جلود ..وقد كانت كما يلى:

* حاجى أرتين المشهور :جلود ثعلبين وأرنب وأفعى ذات قرون.
* انترانيك الشجاع ،من الصخرة :جلود خنزير وقنفذين وأرنبين.
* جانو الاسكورانى :جلود اثنتين من بنات آوى وقنفذ وضبع.
* هاروت القاراداشى :جلد تيس برى وجلد غزال.
* خروشيف ،من الكرم العالى :جلود ثعلبين وضبع.
* آرام الباشوردش :جلد تيس برى ، وحمامتان هدية لأبى!
* آرام القارادورانى :جلود قطتين بريتين وفرخ دب.

* أرشاق الجيناری :جلود أفعيين بشاربين وضب.
نوريتس الكوركونی : جلد ثعلب ماء،
* شاب من النبعين: جلدا جملين
بدأ أبی سعيداً بما أنجزه صيادو بلدته كسب ،وفخوراً بشجاعتهم.
وقد هنأهم من صميم قلبه ،وشكرهم فرداً على مبادرتهم لتحقيق طلبه.. ثم أسرع يرتقی الدرج إلى غرفة النزيل العزيز ليبلغه الخبر.
ثم ما إن صافحت عينا التاجر وجوه الصيادين ،ومرّ بهما على الجلود المكدسة، حتى بدا عليه الاعجاب الفائق ،وصاح:
-كل هذه الجلود فی يومين ؟
ثم أخذ يتفحصها ،وهو يقول:
- يا سلام ! كلها فی حالة جيدة!
وأخرج محفظة نقوده ،وأخذ يدفع لكل واحد من الصيادين ما يستحق ثمنا لجلوده.
وأما حاجی آرتين،فإنه -لحظة دس فی جيبه خمسا من ذات العشر ليرات -مال على أبی ليهمس فی أذنه:
-قل للرجل أن يعود فی الأسبوع المقبل ! فإن الحيوانات المفترسة تتزايد عندنا يوماً بعد يوم!!.

*

وسرعان ما أبدى الرجل رغبته فی أن يسافر فی غده التالی ،فقال
-أرجو أن تدبر سفری إلى اللاذقية.
فحجز له أبی المقعد المجاور للسائق كارنيك .وفی الصباح رافقه حتى الساحة ،حيث أشرف بنفسه على تحميل الجلود،بواسطة الحمالين خليل ومصطفى، على ظهر الباص المتوجه إلى اللاذقية.
بدا الامتنان على الرجل واضحا ، وشكر أبی بكلمات حارة. وقبل أن يصعد إلى الباص ،خطرت لأبی خاطرة أسرع يعرضها عليه.
-عندی فكرة ..(وأخذ يتكلم بعربية مكسرة) ترى، هل توافقكم جلود القطط

البرية ؟فإن فى بلدتنا كثيرا منها!.

أطرق الرجل هنيهة ، ثم مسح جبهته،وقد ارتسمت على فمه بسمة واسعة ،والتفت إلى أبى يجيبه:

-إنها فكرة جيدة! أرى أنكم ،فى هذه البلدة، نشيطون ومفكرون ، أهنئكم من أعماق قلبى.

ودون تردد مدّ يده إلى جيبه ، ودفع لأبى مئة ليرة على الحساب ، وقدم له بطاقة بعنوانه بدمشق ورقم هاتفه ، وقال:

-يوم يبلغ عدد القطط البرية ،المحتسبة ،خمسين أو خمسا وسبعين ،فأخبرنى ،لأحضر فورا ،ونقوم بإجراء الترتيبات المناسبة.

وغنى عن البيان أن« أم المئة » كانت تعد -فى ذلك الحين -شيئا كبيرا ،فلم يكن من السهل على المرء أن يكسبها بسهولة ، وإن أسرة كان يمكنها أن تقتات بهذا المبلغ مدة ما.

راح أبى يفكر فى الطريقة التى يحقق بها لتاجر الجلود ما اقترح عليه من مشروع ،مستفيداً من ذات المئة الليرة هذه ،حتى جفاه النوم . إلى أن التقى يوما ،وهو عائد من السوق ، صاحبه « اصادور قالايجيان » .وكان هذا قد سمع بقصة زيارة تاجر الجلود لكسب ،فقال لأبى ، دون مقدمات ،وفى صوته أسف واضح:

-عمى جورج ! أنا أيضا ،عندى جلود! ليتك كنت أعلمتنى بالأمر.

فقال أبى:

-لا تأسف ، يا اصادور! فالرجل عائد إلينا عما قريب!.

وحكى له أمر الخمسين قطة البرية ، أو الخمس والسبعين ، التى يتعين حبسها حية فى أحد الاصطبلات ، قبل أن يقوم بإبلاغ التاجر هاتفيا ،فيسرع بالمجئ ،والتسلم ، ودفع الثمن!.

فقال اصادور:

-أنا رهن إشارتك ، بروحى وجسمى ، يا عمى جورج ! وأومئ إلى بيدك ،لحظة تريد ،تجدنى حاضرا.

فقال أبى:

– لقد لاقيتك فى الوقت المناسب ..(وناوله ورقة من ذات الخمس والعشرين) هذى سلفة ، يا أصادور ..وبعد أن تقنص القطط المطلوبة وتحبسها فى إصطبل تنال حقك كاملا.

ولما كان الأخ أصادور قالايجيان يعانى من البطالة منذ حين وقد تراكمت عليه الديون فقد جاءه عرض أبى ، المقرون بالليرات الخمس والعشرين ،منقذاً له من وضعه التعيس ، ومفضيا به إلى درب السعادة ..قال :

–أبشر ، يا معلم ! أمهلنى أسبوعا واحدا ،فأتصيد لك القطط أعدك صادقا.

بعد أيام ستة، ظهر أصادور فى فناء فندقنا ،وهو يصيح:

–القطط جاهزة ، يا معلم ! خبر التاجر ليأتى ويتسلم ماله حالا ،فالأمر لا يحتمل التأخير .بدأت الحيوانات تثور ،وهى تتربص بعضها ببعض ، تريد كل واحدة أن تنقض على الأخرى ،حتى بات من المستحيل علىّ دخول الاصطبل لإطعامها!.

قال أبى ، وهو الذى يعرف فى أصادور ولعه منذ الصغر بتعذيب الحيوانات:

–بوركت جهودك ! كم قطة قنصت ! منذ مدة وأنا أفتقد مواء قطتنا ، فحرزت أن قبضتك الحديدية قد وصلت إلينا!.

أجاب أصادور:

–العدد الذى طلبت وأكثر ، يا معلم!

فأجاب أبى:

–ولكن يؤسفنى أن أبلغك ، يا أصادور، أنى تلقيت ، أمس ،من التاجر ، رسالة يعتذر فيها عن شراء القطط ، ويقول إن سوقها بات كاسدا بسبب اندلاع الحرب العالمية ..وينصح بإطلاق سراح ما اقتنصناه من قطط!!.

كاهن قريتنا

كان فى بلدتنا كاهن يدعى« هوانيس تونتيان » .وكان رجلا قويا جهورى الصوت ، رائعا ومحبوبا من الجميع لطيب نفسه وحسن خلقه وخلقه.

ومع أن أبى كان ينتمى ، بمذهبه ، إلى الطائفة البروتستانتية ، وينتمى الكاهن

إلى الطائفة الأرثوذكسية ،فإن أبى كان معجبا ، بل متعلقا به ، إلى درجة أنه كان يتردد ،بين الحين والحين ،على كنيسة الأرثوذكس ،كى يستمع إلى وعظ هذا الكاهن ويستمتع بالاصغاء إلى ترتيله العذب النقى.

ومما أذكره أن الكاهن لم يكن يبخل علينا بزياراته ، فكان يدخل بيتنا ويتصرف بيننا كما لو أنه فى بيته ،فيأكل، ويشرب ، وينشد. وأذكر أنى رأيت أبى ، يوما - والكاهن ينشد أغنية « اللقلق » للموسيقار « كوميداس » هذا المرح جدا- يبكى!.

وكثيرا ما رأيت هذا الكاهن يخلع مسوحه السود ويرميها جانبا ، مشاركا الناس حياتهم اليومية ، ومشاطرهم أفراحهم وأتراحهم .. بقدر ما كان محبا للمزاح والضحك العريض ،فكان -وهو فى زيارتنا يتنافس مع أبى فى سرد النكات والحكايات المسلية.

ذات يوم قال أبى يسأله:

- يا محترم ! إنى لأراك ، وأنت تتلو قداسك على ميت ، تبدو حزينا حزنا يفوق حزن أهله ، فكأنه منك وقد فارقك ! وأراك ، وأنت تبارك لعروسين ،تفرح لهما أكثر من فرح أهلهما بهما ، فتزيد من تعلق كل من العروسين بالآخر وشغفه به! فهل تفعل هذا عن صدق.. أم ماذا؟.

فأجاب الكاهن:

-يا جورج ! إذا لم يشعر الكاهن بمسرة الفرحانين ويألم لألم المحزونين ،فأى كاهن هو؟.

وأطلق ضحكة عريضة ،ومضى إلى شأنه.

موسيس محشيكان

فى شتاء بعيد، أندلقت مياه السماء كلها على« جبل الأقرع » الرابض فوق بلدتنا ،وجرت سيول هوجاء لم تكتف بما حملته معها من التربة الحمراء ، بل جرفت فى طريقها صخورا ضخمة هددتنا بالدمار ، وسدت منافذ الوادى العظيم . وارتفعت ،فى ذلك ،المياه حتى غمرت الجسر الذى يربط بين جانبى البلدة، واقتحمت الحوانيت وجرفت ما فيها وألقته بعيدا حيث لا يعرف أحد. وكان هدير السيول يبعث الرعب فى النفوس، حتى اضطر ساكنو البيوت على جانبى مجرى السيل إلى الجلاء عن دورهم

والنجاة بأنفسهم إلى الأعالى خوفا من انهيار البيوت على رؤوسهم أو من انجرافهم هم مع مياه السيول المتدفقة.

أجل، جرت السيول هكذا بمياهها الحمراء .وانقسمت البلدة إلى شطرين ، لا يستطيع ، أو لايجرؤ ،من فى هذا الشطر على الانتقال إلى الشطر الآخر . وتعاطف الناس مع الضحايا ،ففتحت بيوت الآمنين لايواء الذين تشردوا ، ولم يبخلوا عليهم بما عندهم لمواساتهم.

ومن حسن الحظ أن هذه المحنة لم تطل .فقد انقطع ،فى صباح اليوم التالى ،وابل المطر ،وغاضت السيول ، وانحسرت المياه عن الجسر وعاد الناس إلى أعمالهم.

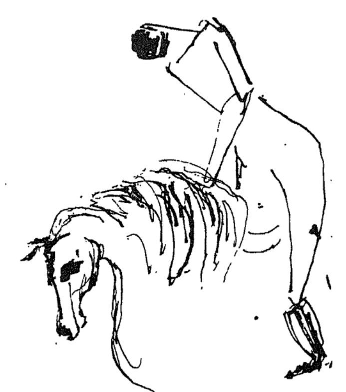
كان أصحاب الحوانيت أكثر الناس تضررا بهذا السيل المفاجئ ، وعلي رأسهم السيد « موسيس محشيكيان » بائع الأقمشة ، الذى يقع حانوته عند رأس الجسر الأعلى ،فقد جرف السيل محتوياته كلها ! ولكن الأمر كان مختلفا عن السيد موسيس ، ذلك أن السيل لم يكتف بأن جرف ما فى الحانوت من الأقمشة ، بل أخذ معه الدفاتر وقد سجلت فيها الديون على أهل القرية لما كانوا قد ابتاعوه منه من الأقمشة بالدين قبل السيل ،ففقد بذلك مستنداته عليهم!.

لم تقع أضرار فى الأرواح ،وتقبل الناس أضرارهم فى الأموال برضى وتسليم ،إلا موسيس محشيكيان ، الذى فقد صوابه، وراح يكلم نفسه شاكيا حظه العاثر الذى جعل السيل يجرف دفاتر الديون، فكانت خسارته بذلك مزدوجة!.

ولكن من ذا الذى يهتم بما خسره السيد موسيس ، أو السيد واهان ، أو السيد وارطان ؟.. بلاء عام، غضب من السماء ، نزل ،ومضى.

كان السيد موسيس إنجيليا ، وكان عضوا فى مجلس الكنيسة ، مثله مثل أبى ، الذى كان أبوه-جدى- تاجرا فى ما مضى من أيام. وكان السيد موسيس يعرف ذلك ، فجاء إلى أبى ، وتأبط ذراعه ، وقال يحدثه فى جد، وهو لا يعرف المزاح:

-سيد جورج ! أنت تعرف مدى الخسارة التى لحقت بى من هذا السيل . ولكن الأنكى أن السيل جرف دفاتر ديونى المستحقة لى على الناس ،فليس يمكننى بعد تحصيلها !(وسدد نظرة إلى وجه أبى) لقد فقدت كل شئ . ولا أعرف ماذا أفعل.وجئتك الآن أن



تدلنى على طريقة أسترد بها ديونى على الناس ، ولا أشك فى أنك واجد لى حلا ،فقد كان أبوك تاجرا مرموقا ، وإن عندك خبرة فى هذه الأمور.

لم يعر أبى كبير اهتمام لأقوال السيد موسيس ، وأراد التخلص منه .لكن السيد موسيس كان متمسكاً به ولا يريد إفلاته . وتراءى له أن يعرض على أبى- وكان هذا أقصى ما يستطيع التنازل عنه! -أن يمنحه عشرة بالمائة من مجموع ما يحصل من ديونه المضيعة!.

ولما لم يجد أبى مفرا من أن يبدى رأيا ، قال:

-أسمع ، يا سيد موسيس ! أنا لا أجد مسوغا لكل هذا الحزن الذى تحمله فى صدرك. أنت ،حقا ،فقدت بضاعتك ودفاترك . ولكنك كنت تبيع الناس بضاعة بأضعاف ثمنها ، لأنهم يأخذونها بالدين .ولسوف تأتى غدا ببضاعة جديدة ،تبيعها لهم، بالدين أيضا ، وبأضعاف مضاعفة.. وهكذا تقتطع من رقاب الناس كل ما جرفه السيل من بضاعة ومن دفاتر ديون ، فلم تبكى وتحزن ؟!.

وارتاح السيد موسيس لهذا القول ، وقبل أبى من جبينه عرفانا بالجميل ..ومضى ،وقد اعتزم أن يسلخ جلود أهل القرية كلهم!.

قصـــة

الأحـــــــداث

قصـة: ادوارد فـوكس*

ترجمـة: طـلعت الشـايب

في الأسـبـوع السـادس للأحـداث ، ذهبت لـزيارة أسـتـاذي في المسـتـشـفى . الفيلسوف المجنون . وجدته جالسا في السرير يقرأ جريدة ، وهو يرتدي ثوبا أبيض رديء المظهر لايغطي جسده بالكامل ولكنه كان مناسبا تماما إذ جعله يبدو مثل الملاك . شعر الأستاذ الأبيض الأشعث يصنع حول رأسه المجنون هالة بيضاء ، أما الأدوية فقد جعلت بشرته تبدو شاحبة وشفافة لكي تكمل مظهره الأثيري.

ركز الأستاذ بصره على فور أن دخلت الجناح . المستشفى يقع في أحد ضواحي " باريس"، وهو بناء قديم من آخر آثار الامبراطورية الفرنسية. الممرات طويلة والأجنحة واسعة ورعاية المرضى تتم بأسلوب عسكري صارم.

ولكي لايضطر إلى رفع صوته ، قال عندما اقتربت منه: لاشك أنك تعرف مايفعلونه الآن .. أليس كذلك ؟ (كان مايزال متمسكا بتلك الصرامة السقراطية التي تميز علاقة المعلم بالتلميذ حتى وهو في المستشفى ، وكان ذلك أمرا مفهوما .. فقد قضى وقتا طويلا هنا) لم يكن لدى أية فكرة عما يقصد بالطبع ، فرجوته أن يفسر ذلك فور جلوسي إلى جوار سريره.

" السلطات الفرنسية أدخلت سلاحا سريا لمقاومة حركة الطلاب. سوف

يستخدمونه فى معارك الشوارع. السلاح يتكون من جهاز ذبذبة الكترونى مركب فى شاحنة مقفلة يولد موجة جيبية بتردد شديد الانخفاض ، ولكن درجة الصوت مرعبة . موجة أقل من درجة السمع الإنسانى ولكنها تسبب دوارا وغشيانا لأى شخص يكون فى مجال مائة متر من المصدر . أثرها مؤقت ولكنها تصيب الشخص بالعجز التام غاز مسيل للدموع أقل من سرعة الصوت"

انتابنى ذهول شديد على الفور ، وكان علىّ أن أركز جيدا لكى أمنع نفسى من الضحك على فكرة الأستاذ الخرافية . كنت أعرف شطحات خياله فى أزماته العقلية المتكررة ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لما أصابه من مس .

قلت : " رأيتك تقرأ الجريدة بينما أنا هنا لأخبرك بما يحدث . تصورت أن الأخبار لاتصل إليك هنا" . انزعج لذلك بشدة : " « أنا أقرأ الصحف يوميا وأعرف مايشغلكم أيها الجانحون! » . قال ذلك بابتسامة واهنة مؤكدا على الكلمة التى كانت افتتاحية " لوفيجارو" قد وصفتنا بها قبل أيام . ثم انتبه للكدمة الظاهرة على وجنتى فسأل : هل ضربت بهراوات الشرطة ؟"

" لا ! ليس بالضبط! " ثم رويت له ماحدث:

ليلة أمس ، وجدت نفسى منجرفا مع مسيرة معظمها من طلبة جامعة " نانتر" الذين كانوا فى طريقهم إلى " السوربون" التى كانت الشرطة تحتلها منذ ثلاثة أيام . كنت قد تناقشت مع طالبة من" السوربون" بعد إحدى الندوات عن فكر" ماوتسى تونج" وعرفت منها أنها ستذهب معهم. فتاة شديدة الذكاء والجاذبية بالرغم من سذاجة أفكارها السياسية ، وكنت أود أن أراها مرة أخرى . وهكذا التقينا خارج" السوربون" فى نفس الوقت الذى كانت المظاهرة تدخل فيه الحى اللاتينى ، فانضممنا إليها ورحنا نردد معهم هتاف "" لا للقمع ! اطلقوا سراح رفاقنا !"
وكنا طبعا نقصد مئات الطلبة الذين كانت الشرطة قد ألقت القبض عليهم منذ أن احتلت الجامعة.

وعندما اتجهت المسيرة إلى شارع" سان جاك" ، وجدنا أنفسنا فى الصف الأول تقريبا وجها لوجه أمام طابور مزدوج من شرطة مقاومة الشغب يسد الطريق . كان لابد أن نقف أمامهم ولكن معظم المتزاحمين خلفنا لم يكونوا قد دخلوا شارع" سان جاك" بعد ، ولأنهم لم يروا أفراد الشرطة الذين يغلقون الطريق ، واصلوا تدفقهم وتدافعهم من خلفنا لكى نجد أنفسنا فى المواجهة ، وأثناء ذلك كله كان هتافنا

يتواصل : " اخرجوا من السوربون! اخرجوا من السوربون !" ونحن نشير إليهم بأصابعنا على نحو يحمل الكثير من اللوم والاتهام ، فهم الذين كانوا قد احتلوا الجامعة . لاأعرف ماذا حدث بعد ذلك سوى أن الشرطة كانت تنهال بالهراوات على كل من أمامهم . اتخذنى أحد أفرادها هدفا له ، وتقدم نحوى رافعا سلاحه فركضت إلى الرصيف لكى أتفاداه ، لكننى عثرت بشئ ما ، فدخلت برأسى فى الطاولة والكراسى الحديدية المرصوصة أمام المقهى . جلست فترة عيناى مغمضتان وذراعاى على رأسى بينما المعركة مستمرة من حولى . وعندما رفعت رأسى لم أجد أثرا للبنت فى أى مكان ولم تكن المعركة قد توقفت بعد فقمت والتحقت بالطلبة . كان شعورا مدهشا فى الشارع . مشاعر الخوف والإثارة كلها تجمعت بداخلى وأحسست بوميض لحظى من البهجة الغامرة ، كنا نقاوم الشرطة وننتصر عليها.

رأيت بعض الناس يقتلعون أحجار الشوارع ويلقون بها على القوات وفعلت مثلهم ولاأعرف إن كان الحجر الذى ألقيته صوب أصحاب الزى الأزرق قد أصاب أحدا منهم أم لا ."

نظرت إلى الأستاذ كأننى ابن ينتظر تعبير استحسان لعمل جيد قام به. كنت أصف له كل شئ فى حركة الطلاب ، فالأحداث التى وقعت كلها بدأت كتعبير عن الوفاء للمعلم الذى علمنا فى حلقاته الدراسية الكثير والكثير عن الثورة الحتمية وعلم الماركسية المتجدد. كنا الآن نقوم بالثورة . وكانت الدولة ترتجف أمامنا وتبدو على وشك السقوط . هذا الرجل الطيب كان هو الأب الروحى لحركتنا بالرغم من نوبات المرض المتلاحقة، وكنت أنا أول واحد من طلابه والوحيد الذى جاء إلى هنا ليعترف له بدوره العظيم . كنت أتصور أن ذلك سيرفع من روحه المعنوية ويساعد على ترميم قواه المنهكة . لكن يبدو أن الأثر كان عكسيا.

قال الأستاذ متلعثماً وبصوت مجهد: " هذا ليس موقفا ثوريا!" وكان يبدو منهكا حزينا ." حركتكم تمرد أيديولوجي وليس ثورة سياسية" ثم توقف عن الكلام برهة . كان يحاول أن يستدعى المصطلح الذى يريده ، من ذهن طمسه التداوى ." موقف ثورى فقط من الناحية الذاتية ، تحررى ، لوكسمبورجى جديد . ولكنه ليس الموقف الثورى الصحيح ! إنكم تعيشون وهما!"

" لكن تلك هى المسألة ! نحن رغبة من التحرر ، وشعارنا هو: كن واقعيا واطلب

المستحيل! نحن ننتزع أحجار الشوارع ونبحث تحتها عن الشاطئ ".

" هذه يوتوبيا! وأنت تعرف ماقاله " لينين" عن اليوتوبيا! أليس كذلك ؟"

" لا!"

" اليوتوبيا اضطراب طفولي يمكن الشفاء منه إذا عولج جيدا."

وعندما نظرت إليه مرة أخرى كانت عيناه مغمضتين فتسللت في هدوء وانصرفت.

في تلك الليلة ، كنت أتناول العشاء مع صديقين : " جورج" و" آلان ". زميلي في الكلية . في تلك الأيام كنا على درجة من الطيش بالرغم من أننا كنا نعتبر أنفسنا أفضل من كثيرين غيرنا من مشاغبي " السوربون" وكتلاميذ للأستاذ المشهور كنا – بالفعل – المسئولين الأيديولوجيين عن الحركة . على مدى الأسبوع الماضي كان" جورج" يؤدي واجبه الخطر وهو كتابة الشعارات – الغامضة والعميقة المعنى بخاصة– على جدران الشوارع الضيقة في الحي اللاتيني. كان يقضي أياما كاملة في غرفته لكي يجهز اللوحات ثم يتسلل من النزل ليلا ومعه علبة" سبراي" . كان " جورج" يستخدم حروفا كبيرة ومستقيمة دائما ، ويحرص على دقة العبارات وعلامات الترقيم ، وكانت تلك هي أطول الكتابات في كل المنطقة . ولذلك كانت تفتقر للاختصار الذي يجعلها أشبه بالعبارات المأثورة ، كما أنها تتطلب وقتا أطول لرشها على الحائط ، الأمر الذي قد يعرض" جورج" للقبض عليه . ومع اقتراب كل ليلة، كان ينتابه القلق وهو مقدم على المهمة الخطرة التي تنتظره. قال " جورج" متجهما : ليلة أمس ، كتبت شعارا جديدا على الحائط بجوار مخبز" الإيتوال ". عبارة تقول: صورة الموت ، النفس الحقيقية للنائم : عد ، المقموع !"

" ومامعنى ذلك؟"

" هذا اقتباس من " لو كان "

قال" آلان" وهو ينفخ بازدراء " هراء برجوازي !"

وقلت أنا :" هذا شئ شديد الإلغاز . لا أفهمه . ولاأعتقد أن أحدا آخر سيفهمه ! هل تذهب هذه الليلة من فضلك وتضيف هامشا توضيحيا .. وربما ببليوجرافيا أيضا ؟"

جفل" جورج" قائلا : أخشى الشرطة !

ثم رويت لهم ماكان من أمر زيارتي للأستاذ في المستشفى وكيف كانت



حيرتي وخيبة أملي كما قال.

قال" آلان" : أنا لاأعرف لماذا تأخذه على محمل الجد هكذا !

إنه شخص مخبول ولاأكثر من ذلك . نصف وقته يقضيه مخدرا حتى عينيه ولايعرف أى يوم من أيام الأسبوع ولاأى بلد هذا. تقول إنه منظر مهم ، ولكنه لم ينشر أى شئ تقريبا . كما أن هناك إشاعة عنه ، كما تعرف ، بأنه لم يكمل قراءة " رأس المال " ،

لم يتخط الفصل الأول لأنه لم يفهمه ، ويرعبه أن يكتشف الناس ذلك. ثم إن مافائدته الآن – هنا – والشرطة تطلق رصاصها المطاطى وقنابل الغاز كل ليلة وتكسر جماجمنا بينما هو ملقى على سريره ، منبطح لاحول له ولاقوة؟"

" تلك هى المسألة . أن تكون مجنونا ، ذلك هو الرد المنطقى» والطريق الوحيد لشخص عقلانى".

" رد على ماذا؟"

" أنت تعرف مانعارضه جميعا . نحن ضد العملاق الفاشى فى فرنسا . ضد ديجول . ضد الحرب فى فيتنام . ضد الكنيسة . والأسرة. ومايدعونه بالجهاز الأيديولوجى للدولة بما فى ذلك الكلية نفسها . وانسحابه أمر منطقى وصائب . إنه فعل رفض إيجابى وفعال . رفض لأوضاع وصلت إلى أقصى درجات المرض.. عندما تواجه النفس بموقف داعر كهذا ، لايكون أمامها سوى خيار واحد ، وهو أن تقوم بإضراب نفسى عام وتدخل فى حالة جوانية من الاضطراب الثورى.

قال" آلان" :" وهذا أيضا خواء برجوازى !"

فى الأيام القليلة التى تلت ذلك تفاقم الموقف فى الشارع وتصاعد إلى ذروته . كانت الحكومة مازالت رافضة أن تطلق سراح الطلبة المقبوض عليهم فى حصار السوربون ، والجامعة مغلقة بالرغم من الإعلان عن أن المحاضرات سوف تستأنف ، وباتت المواجهة مع السلطات أمرا حتميا .

وفى يوم الجمعة ذلك ، كانت شوارع الحى اللاتينى قد تحولت إلى كرنفال ثورى ، محاضرات فى الهواء الطلق ، أعلام حمراء ترفرف على النوافذ . رأيت الشاعر السيريالى " أراجون" عضو الحزب الشيوعى الفرنسى وأحد رموز النظام القديم ، وسمعت هتافات الازدراء والتنديد تتصاعد ضده من الرصيف الذى كان يتقاسمه مع زعيم جماعتنا " دانيل كوهن بندت !!

فى تلك الليلة حسمت المسألة . تقرر أن تقوم مسيرة تطوف بشوارع الضفة اليمنى للسين ، ولكن الشرطة أغلقت كل الجسور . ولذا تم اتخاذ قرار فورى باحتلال الحى اللاتينى . كنت وسط حشد كبير تجمع فى شارع " جاى لوساك " ، وشعرت بوخز الخوف والترقب يتجمع بداخلى . وفى لحظة ما ، شاع بين الحشد أننا لابد أن نشرع فى إقامة حواجز ومتاريس ، فاكتشفت جماعة منا أحد مواقع البناء وذهبنا لإحضار المواد وكدسناها فى الشارع بارتفاع متر تقريبا ، وكان آخرون يفعلون الشئ نفسه فى أماكن أخرى عندما هبت العاصفة فى الثانية صباحا تقريبا وداهمتنا الشرطة . فى هذه المرة كانوا يستخدمون القنابل بالإضافة إلى الغاز المسيل للدموع المعتاد والهراوات ، لأننى سمعت عددا من الانفجارات المختلطة بصفارات الإنذار المرعبة . الأضواء الزرقاء الدوارة الصادرة من عرباتهم كانت تنشر أشرطتها المتتابعة على واجهات المبانى المحيطة.

وفجأة شعرت بغثيان قوى وبدأ رأسي يدور على ثلاثة محاور . انثنت ركبتاى فوقعت على الرصيف . الشئ الوحيد الذى أتذكر أننى رأيته قبل أن يغمى على ، كان عربة مقفلة غريبة الشكل ، مفتوحة من أحد جانبيها وبداخلها مخروط هائل أسود اللون . بعد أسبوع نشرت " ليبراسيون " أن مايقدر بمائتى شخص قد ظهرت عليهم نفس الأعراض الغامضة التى لم تكن أبدا أعراض الغاز المسيل للدموع . لقد تم استخدام سلاح سرى جديد كما قالت الجريدة ، بالرغم من أن البعض كان يرفض ذلك التقرير ويعتبره هلوسة جنون !

---

* ادوارد فوكس:

من مواليد نيويورك (١٩٥٨) ويعيش فى لندن . كاتب وصحفى حر أصدر كتابا واحدا بعنوان " ممالك غامضة: رحلات إلى بلاط ملكى بعيد" . نشر عددا كبيرا من القصص القصيرة فى الصحافة الأدبية فى بريطانيا.

قصـــة

الغــربـة لاتليــق بالعشــاق

فاضل البياتى

كان قراره بالعودة لايحتاج إلا للزمن المناسب لتنفيذه .. وهو زمن تمناه أن يكون قريباً .. لكن بينه وبين البستان موج عالٍ وضباع وقد لايقوى على العبور كى يصل للمكان الذى أحب ..

قبل أكثر من عام ..

كان ثمة خنجر يتلامع نصله الفولاذى تحت وهج الشمس وقد نامت قبضته فى راحة الكف الأيمن لجثة رجل فى الأربعين..

قبل أكثر من عام..

أخبرتنا العصفورة أنها شاهدت الجثة ملقاة عند ساحل البستان بعد ماحملتِها الأمواج العالية ..

جثة الرجل لم تدفن .. فقد بقيت مهملة مرمية فى العراء طيلة الزمن الفائت..

.. أيتها العصفورة - أخبرينا ماالذى حل أخيراً بالجثة..

... أخبرتنا ..

- هنالك زهرة برية طلعت من صدر الجثة من موقع القلب تحديداً .. وقد مالت الزهرة بساقها النحيل نحو البستان ...

وتطير العصفورة بعيداً .. وتطير شائعات وأقاويل كثيرة دارت حول ذلك القتيل .. وحول الجثة ..

قال البعض

- إنه انتحر حزناً..

وآخرون أكدوا أنه انتحر حباً..

وهنالك خبر يزعم أنه قتل خنقاً .. وآخر حسم الأمر وعلل الحدث بأن الرجل كان لايحسن السباحة كى يعبر حتى جهة البستان .. أقاويل .. وروايات .. كلها لاتفضى لحقيقة ماجرى فى ذلك الصباح الصيفى الساخن على أرض بستان النخيل..

.. بيد أن العصفورة وحدها هى الشاهد الوحيد..

.. أخبرتنا العصفورة ثانية..

- عند بزوغ الفجر تركت عشى الكائن فى أعالى نخلة .. شاهدت الرجل ممدداً ومبللاً بالماء حتى خيل لى أنه قد أنهى استحمامه فاشتهى الرقاد على الساحل ..

.. وماذا بعد ياعصفوزة؟..

- حينما عدت إلى عشى غروباً وجدت الرجل لم يغير موضعه .. غير أن هنالك أمراً مروعاً قد حدث له ..

.. أقصد ماحدث لجثته ...

.. أخبرينا ياعصفورة..!!..

.. وقبيل أن تحلق عالياً صاحت صيحة قوية رجع صداها مدوياً من جهة البستان..

- لقد نهشت الجثة من أماكن عديدة..

وليس من يفعل ذلك الا الضباع..

**

في الصيف الماضي كانت الجثة قد تيبست تماماً وانصهر ماتبقى من شحمها ولحمها تحت لهيب الشمس حتى اكتست وتشربت الرمال الدهن المنصهر .. وعند الخريف بدأت مظاهر التفكك على الهيكل العظمي .. بانت الجمجمة .. والقفص الصدري المهشم .. وتطاير بفعل الريح بقايا شعر الرأس الذي كان ينسدل فاحماً وجميلاً في زمن ما ..

وجاء الشتاء .. ونزل المطر .. فتلاحم الطين مع مجموعة عظام متناثرة..

وهاهو الربيع يشكل وبطريقة عفوية وطبيعية قبراً تعلو تربته حشائش خضراء فيما شمخت بشئ من الوقار وعند موضع فؤاد الجثة تلك الزهرة البرية .. وهي تنحني بتاجها الوردي جهة البستان وكأنها عابد في محراب الرب..

**

قبل أن يحدث ماحدث .. وقبل أن تدور التكهنات حول سر موته .. أو مقتله .. هنالك حكاية أخرى لاتكهنات متضاربة حولها ..

.. فقد كان مضطراً للنزوح من البستان الذي عشقه . رحل عنه مرغماً بعد ماالستشرى ضباع زرعوا الحريق والخوف والظلم والقتل بين النخيل والمساكن..

.. لقد رحل .. على أن يعود بيوم ما .. فعاشق حقيقي مثله لن يقوى كثيراً على البعد ولن يتآلف أبداً مع شوارع المنفى الفاقدة للأمان .. ولامع الأماسي الجافة من الحنين..

.. في آخر ليلة .. كان وحيداً مشتعلاً بالشوق .. يرميه رصيف نحو رصيف آخر دون أن يدري إلى أي هدف يسير .. يصغي لضربات أقدامه على بلاطات الأرصفة وأسفلت الشوارع .. يهرب من دخان الحافلات والمركبات الصغيرة وضجيج ثرثرة

المارة.. ليدخل لمكان أكثر صخباً وضوضاء.. موسيقا بصوت مرتفع .. دخان .. روائح الكحول.. شقراوات .. وسمراوات .. يضحكن عالياً بأسلوب متشابه ويستيقظن كل نهار في مخدع مختلف ومع رجل مختلف..

.. في آخر ليلة .. جلس وحيداً عند طاولة منزوية.

- غداً سأسبح في الخطر لأعبر عائداً نحو البستان..

هكذا قال مع نفسه قبل أن تقترب من طاولة جلوسه رفيقة د ائمة له..

- أنت حزين أكثر من أي مساء مضى..

- بل إنني في منتهى الارتياح..

تأملها وهي تقترب برأسها الدائري منه .. لاحظ كثافة المساحيق التي طلت وجهها بها .. وشم نفس العطر الرديء الذي كانت تستخدمه في كل ليلة..

- أسمع ، أنت اليوم مختلف تماماً..

ضحك . وأجاب بفتور..

- أين ذهبت بالأمس؟

قالت بأسف مصطنع ..

- أعلم أنك غاضب بشأن ذلك ..

ضحك ثانية بالفتور نفسه .. وأضاف وكأن الأمر لايعنيه .. بل لم يكن يعنيه في الواقع..

- أبداً .. هذا لأنني أعرف أنك تحسنين النسيان..

- مادمت تعرف ذلك.. فلم تتعب نفسك.. وقهقت عالياً..

***

كان قراره بالعودة لايحتاج إلا للزمن المناسب لتنفيذه

.. وهو زمن تمناه أن يكون قريباً .. ولكن بينه وبين البستان موج عالٍ وضباع وقد لايقوى على العبور كي يصل للمكان الذي أحب ..

- هل ترغب أن نقضى الليلة معاً..؟

- لقد مللت البقاء هنا..

- يبدو أن الحنين عاد ليراودك ثانية ..!

- وأنتِ ألم تتلهفى للمكان الذى أتيت منه؟

... ضاعت قهقهتها العالية بين البحر المتلاطم بأنواع اللغات والضحكات .. والبكاء كذلك .. وأجابته بشئ من الأسى..

- ألم تقل عنى بأنى أحسن النسيان..!..

- ولكن لم تكن لديك أسباب قاهرة كى تأتى إلى هنا .. وحتى لو كان هنالك تلك الأسباب .. ألم يحن الوقت لنصنع درباً كى نعود..

- لست أنا الوحيدة التى لاتملك أسباباً.

- معك حق .. هنالك الآلاف غيرك..

- دعنى أحسن النسيان إذن..

- لكننى قررت العودة..

- لأنك مجنون.. وتفتش عن موتك بيدك..

.. ابتسم لها .. وهو ينهض كى يهم بالخروج واسمعها آخر حوار قاله لها.

- سأعود ومعى إصرار.. وسلاح.

**

بعد تلك الليلة..

كلاهما كان وحيداً .. هى تجلس بمفردها على كرسى من بين كراسى ذات الطاولة التى كانت تجمعهما كل مساء مع أمواج الرواد الصاخبين المنتشين .. أما هو فقد كان يصارع فى ظلمة الليل موانع أمواج صعبة من أجل أن يصل إلى ضفاف البستان..

... حدث هذا قبل أكثر من عام .. ولعل العصفورة ستمضى فى يوم ما إلى تلك المنتظرة بين أمواج الصاخبين المنتشين لتطلب منها أن تكف عن انتظاره .. فلقد



أمسى ذلك المنفى زهرة عند حدود بلاده يحرسها خنجر مازال نصله حاداً يترقب عاشقاً آخر لاتليق به الغربة..

.. أيتها العصفورة..

هل ستخبرين تلك المنتظرة فى ليالى الغربة ، بكل ماجرى له ..؟

**

إفادة ختامية

.. كشفت لنا العصفورة مؤخراً .. أنها طارت لتخبرها .. إلا أنها لم تجدها بانتظاره ..

ولقد سر لها نادل المقهى بأنها تأبطت أذرع أشخاص آخرين من بعده ومنذ الليلة الأولى لغيابه ..

قصـــة



أحمد الشريف

عندما نظرت فى عينيها أول مرة قلت : ياه كل ده ..!

أخرجت لى لسانها.

هذه الفتاة دفعتنى للتحليق بعيداً حتى اصطدم جناحاى بالشمس.

لم أصدق لحظتها أن هذا الوجه وذلك الجسم ينطويان على سر عميق .. كانت تحمل بين يديها كلباً أسود ذا لسان كبير ، لايكف عن اللهاث ، قالت بعد تعارفنا إنها تعيش وأمها وحيدتين ، لم يتبق لهما إلا بيلانسى .

مات أبوها ، الثرى جداً ، جعل بيتهم شارعاً ، من كثرة الرواد والزوار . أدق خصوصياتهم ، كان يعرفها أى صعلوك ، أصيبت أمها بحالات انهيار عصبى نتيجة للصخب والجلبة وكثرة العيون . هذا الوالد كان يعتقد بأن الناس من حوله ، سبب استمراره فى الحياة ، كثيراً ماتسلل إلى غرفة نومه ، تاركاً ضيوفه وموصياً إياهم بعدم الرحيل إلا بعد سماع شخيره .. بعد موته أغلقت الأم البيت وأشاعت أنها وابنتها سترحلان عن المكان بعيداً .. صار الليل يعنى لهما الجنة وبيلانسى حارس بوابتها.

تتعرى تدريجيا، فتختفى النجوم من السماء . جسمها عجن من نار هادئة ، عند

اللقاء ، تغمض عينيها ، وتحرك لسانها على شفتيها ، تزداد درجة غليانها ، فتضغط بأسنانها على الشفتين مع تشنج فى أصابع يدها حتى تعثر عليه ، تتحسسه بأناملها ثم يدها وبكلتا يديها تقبض عليه وتقربه من وجهها بوله وتقديس.

اشتعلت الجذوة بداخلى ، لامفر من هذا التهيج المستمر ، أثناء لحظة القذف العصبية التى تأخذنا فيها الغيبوبة ، أتمنى لحظتها لو مت ، لأستريح ، لاإشباع أبداً.

زرت بيتهم واندهشت من تأدب أمها وخجلها ، أكدت لى أن بيلانسى هو ماتبقى لهما ، خصوصا هى ، لأن ابنتها كثيرة الخروج .. بعد وقت قصير ، استأذنت وأشارت لبيلانسى ، الذى قفز فى حضنها من أعلى المائدة وتلقفته بلهفة.

حبيبى ، حبيبى ، معاد الحمام

الفتت لابنتها محذره:

اوعى تفتحى الحمام علينا ، حبيبى ياخد برد.

ضمته لصدرها بقوة ، قبلته فى بوزه ودخلت به الحمام.

" صارت حياتنا ليلاً . جولاتنا النهارية تتعمد فيها أن تأخذنى للأماكن الغائرة والأزقة الضيقة والشوارع المسقوفة والبيوت القديمة التى لاتدخلها الشمس وتوشك على الانهيار . بفضلها بات الليل دليلى لجسمها وجسم الأخريات . جسمها صار المكان الوحيد الصالح للاختباء من قسوة الحياة ، وتحديداً الأماكن الخفية فيه ، كالسرة ومنطقة مابين الثديين وتحتهما وتحت إبطيها وعتمة مابين فخذيها . كانت تقول لى:

عايز تشوفنى جميلة تعالى فى الليل!

هى لم تعد جميلة فى الليل ، بل الحياة أمست لامعنى لها إلا فى الليل .. أتذكر وجهها بتوتره وانقباضاته وحركة يدها المتشنجة على جسمى وهى تضمنى وتكاد أن تبكى . لكم تعذبت وعذبتنى معها.

كنا فى شرفة بيتهم ، نتأمل الليل الممتد لأطراف الدنيا ، بغتة ، بدأت تغنى:

– بيلانسى ، بشويش ، كده تعضنى فى..

التفت فرأيت الكلب دافساً بوزه ويزوم بشدة.

– إيه ده؟

– خايف منك!

تركتها وأسرعت بالخروج ، لحقت بى ، احتضنتنى ، بلا وعى ، قبضت على ردفيها وغرزت أظافرى فيهما وهى تعوى كحيوان جائع فى غابة . مع كل صرخة أؤمن بقدرة الخالق العظيم على تشكيل هذين الردفين الطريين الممتلئين دون إفراط، إنهما المعبر لى على جسر الزبد.

تسرد على أنواع الكلاب ، تبوح بسر اختيارها وأمها لبيلانسى كى يعيش معهما ، إنه هادئ الطباع ، من فصيلة كثيرة التكاثر ، له لسان خشن .. بسبب هذا البيلانسى ، كادت أن تحدث فضيحة على البحر ، فى عز النهار والشاطئ غاص بالناس ، كانت تلعب الراكيت مع صديقتها ، بيلانسى جالس على مؤخرته ، لايحول عينيه عن صاحبته ، بلا مقدمات قفز تجاهها وبدأ يلحس ، لم تهتم ، زاد الأمر ووقف عند فخذيها وشرع فى لحس مابينهما وهو يجذب المايوه بأسنانه . طوحت الكرة بعيداً لصديقتها ، دارت بعينيها فى المكان بسرعة ، رأت بعض العيون ترقبهما ، بكل قوتها ضربته على رأسه بمضرب الكرة.

- آخر مرة أجيبه البحر .

لحظة تفكيرى فيها كزوجة ، اختفت من حياتى فجأة كما ظهرت فجأة . لكن لماذا فكرت فيها كزوجة؟ وماسر انجذابى لها ولأمها؟ ولماذا اختارانى أنا بالذات ؟ هل أشبههما فى شئ؟ أم أن هناك شيئا فى الأعماق يجمعنا؟

معهما أو معها ، أشعر أن حياتى غير الآخرين ، وأن هناك سراً مثيراً يدفعنى للحياة ، دائماً أبتهج وأنا بين أصدقائى وسط الصخب وحركة الحياة ، لأنى سأذهب مع بداية الليل لحياة أكثر دفئا وخفاء .. فى بداية اختفائها ، تصنعت اللامبالاة وقلت لنفسى ، إن هناك مئات غيرها مصابات بسعار الليل ، لكنى أخطأت التقدير ، لأحد مثلها ، النار التى أشعلتها بداخلى ، لم تقدر أية امرأة على إخمادها ، لم أنتبه وهى تقول لى ذات مرة:

- على فكرة أنا زى حلم فى الليل !

- يعنى ؟

- يعنى ممكن تقوم الصبح ، لاتشوفنى ولاتشوف الليل . وهاأنا استيقظت ولم أجدها ، أما الليل فسوف يأتى ، كان بداخلى ، مقيماً قبل رؤيتى لها ولاأعرف لماذا امتزج وجوده بوجودها . قالت لى أمى ، أنى عندما خرجت من بطنها للدنيا ، كنت

أصرخ وأبكى كسائر أطفال الدنيا ، مع اختلاف صغير ، إن التيار الكهربائى انقطع ، فتوقفت عن الصراخ والعويل ، اعتقدوا بموتى حتى عاد التيار متزامناً مع صراخى وعويلى.

الليل كان يغنى بسمها ، وجسمها ليل بهيم ، حياة مجهولة أحبها وأخاف منها ، أختبئ فى منحنياتها وظلماتها وأتوق فى ذات الوقت للشمس والسماء الزرقاء والطبيعة وصخب الحياة.

ونحن فى عنفوان الالتحام ، كانت تهذى وتصيح - أنا عايزة الحب عايزة الحنان ، مع كل صيحة ، تتحرك تحتى بتشنج وعصبية شديدة وكأنما كل جزء من جسمها سينفصل عن الآخر ، تلقى برقبتها ورأسها بقوة للخلف مع آه من الأعماق ، ليست آه لذة وإنما آه إنسان يتعذب ويسعى للخلاص . أحس فى كل التحام معها ، أن بداخلها شيئا يبتغى السفر بعيداً ويتلاشى فى الفضاء وذرات الطبيعة .. هذه الجملة التى كانت تكررها هى وأمها عندما أحدثهما عن موضوع محزن:

- آه ياروحى آه ياعينى.

فى البداية أثارتنى هذه الجملة ولكن بعد ذلك أدركت أنهما موجوعتان فعلاً وتحسان بضعف الآخرين واحتياجاتهم. بديلاً عن الجنون ، توغلت فى جسم الليل وفى النهار ارتاد البرارى البعيدة والغابات النائية والمناطق نصف المعتمة حتى وصلت لجرن قمح .. النجوم فى السماء تعكس ضوءها على أكوام القمح التى تأخذ شكل أهرامات صغيرة . لمحت جسماً ينزل من السماء ويحجب أشعة النجوم ، نفس العينين المحمومتين وانقباضات الوجه ، أعطتنى ظهرها وأشارت لأتبعها ، مع كل خطوة يزداد الليل ظلمة وازداد اشتعالاً وحباً للحياة ، أتوغل أكثر وأكثر إلى أن أصل لبقعة فى الأرض ، لم أر مثلها ، ولم أشعر بجوها من قبل .. فى اللحظة الفاصلة بين الليل والفجر ، دنت منى فتحت ذراعيها وابتلعتنى ، وغصنا معاً فى الظلام.

قصص

ثلاثة فوانيس كبيرة..

مسرجة .. فى ليل الهوى

محمد عامر فاضل

وأشارت إليه .. بإصبعها!!

[إلى فوانيس رمضان .. الكبيرة والملونه!!]



هجعت أجساد منهكة.

تطول مسافات الليل، ولا ترتخى أعصاب سواده ..

تبتعد السماء وتعود النجوم.

الأبواب أغلقت، المصابيح أطفئت، أحكم غلق أنابيب البوتاجاز .. تحكم النساء الغطاء على أطفالهن..

أيتها السيدة ضعى قطعتك المبللة بالدم فى الغسالة

امسحى عرقاً .. ولا تستحمى الليلة ..الدينا برد .. والصباح رباح.



رأيته فى النوم .. طويلاً وأسمر، عينياه كأنما بهما برق، وكأنهما تضيئان ، وكأنهما مصباحان .. وأنا لا أعرفه مددت يدى لأصافحه ففتح سستته وأنهى موضوعه استيقظت وبقعة دم كبيرة فى الثوب.



الساعة الثالثة، لم يؤذن لصلاة العصر .. وأبو بنتى فى الحمام.. سمعت خبطا على الباب، وكأنه ضرب على طبلة قلبى.. [اللهم اجعله خير..] .. والحجرة كانت منصنته وسمعتنى الحجرة.



فتى طويل وأسمر، عيناه كأنما تنغرزان فى القلب.. كنت ممسكة بالباب.. وأمسكت يدى حتى لا تحكم وضع القطعة القماش المثبتة فى بوابة الدم.



رفع معى الأطباق .. رفع الصينية وحطها فى المطبخ. وهو يضع السكر فى كبايات الشاى .. كان يحكى قصة قتل فيها مرتين.. وفى الثالثة فر هاربا.



منذ جاء ورجلى علا صوته وهو يلعب معى لعباً أحمر العينين، ويديه طويلتين، يؤلم الظهر والفخذ، فأضحك بصوت عال، وكلما علا صوتى.. سقطت رأس عصفور تحت مصباح الأباجورة.

منذ جاء ورجلى.. (الذى أعرف كيف يؤدى موضوعه معى..) يحاول دائما، وكلما صر السرير سقطت رأس عصفور من السقف.

منذ جاء.. وأنا أنام نوماً ثقيلا وكأنه سفر..وأجدنى فى صحراء وقد غاب عنى فلا أراه، ولا أعرف كيف أسير، أناديه بأعلى صوتى، وعندما لا أجده.. وأتأكد من أنه ضل وأنتى ضللت أجلس منهارة وأبكى.. ودموعى باردة .. ويسقط فى قلبى أننا لن نجتمع أبداً.



وضع رمضان فوانيسه فى أرجاء الشقة، والبنت تساعد أباها.. قال [أنت تعبانة .. مالك فيه إيه؟]،

فسقط قلبى فى رجلى.. وأنكرت

قال.. (العشرة بتقرب النفوس من بعضها. فالواحد يسمع الندا حتى لو كان فى المقام.].

....

....

....

....

....

التليفزيون.. أمامنا..

ابتسمت ولم أهتم بكلامه.. [وياوعدى.. يا وعدى!!]..

الأضواء فى الشقة ملعلعة.. أتت زغاريد من الشارع سريعة ولها مدى وبفرحة..

قالت بنتى [هو مين اللى هيتجوز يا ماما؟] .. فردت حماتى وهى تشبت نظارتها بكفيها .. [دا اللى هيتجوز].. وأشارت إليه بإصبعها.

الثعبان أخضر

لم أكن جميلة.. ولم يعشقنى أحد. لم أعرف سوى أمى وإخوتى الصغار وأبى.. لست جميلة.. سمراء ولم يعشقنى أحد.. أبى يحبنى فى سور جديد يبنيه لى كل يوم ولم أعشق أحداً.

شعرى خشن وقصير.. عندما تقدم لى شخص ليتزوجنى .. وافق أبى وأمى.. كنت رافضاه.. وكنت صغيرة.. خالى قال لى وافقى واحنا هنفركش الموضوع بعد كدا، وافقت.. وبعد أسبوع وجدت المأذون فى البيت.. وسافرت.



طويلة وعريضة.. الذى صار زوجى قصير وفلاح. جميل وناعم .. ولسانه كرباج .. روحه فى مناخيره.. ويسرق.. صاحب القصر.. وبياكل فى طبقه.

٣

كنت حرانه وجسمى كما لو أن فيه مسامير، بيغلى.. خرجت .. صعدت إلى السطح.. كان القمر مكتملا ومنوراً .. خلعت ملابسى كلها .. ونظرت إلى القمر ..

نظرت فى عينى القمر.. وقلت [يا ربى خدنى.. أنت خلقتنى ليه؟].



نزلت .. كان.. بيتفرج على التلفزيون وبيغنى، دخلت نمت..
رأيت ثعباناً أخضر كبيراً يصعد السرير، وكنت أحاول أن أصحو، لكن النوم كان ثقيلا على جفونى .. أحسست بدفء ولذة يخرجان من الثعبان.. عضنى فى فخذى عضة شديدة ولذيذة.. عندما استيقظت وجدت ماء رجل بين فخذى.



دخلت الحمام.. تطهرت.. ولبست قميصا جميلاً، ثوباً كنت اشتريته ولم ألبسه.. وضعت مكياجا كاملاً، لأول مرة بعد أيام العرس.. كنت مبسوطة وفرحانة .. دهنت شعرى.. وسرحته.. وكان عاجبنى.. وحسيت نى احلويت.



طبخت .. ولأول مرة فى حياتى أحس إنى عايزة راجل.



تأخر الذى صار زوجى.. واتصل من القصر.. قال.. [تعالى الست الكبيرة عايزاك..].

.. الحرير ..

ليس هذا كل ما حدث، لكنه بعض من نفسى التى تبعثرت على أرض الرصيف.



عندما كنت تاجراً للخردة..
سقطت من يدى حبات مسبحتى.. وأنا أخرجها من جيبى كى أعيد لضمها.. ولم يبق فى يدى إلا الخيط الحرير والمئذنة.
[دقة بدقة.. ولو زدنا ازاد السقا].
جملة صريحة عالية.. دوت .. لا يشاركنى فيها أحد.



ها هو .. السقا.. يدخل على زوجة وفية وعاقر.. لم يرها عشرين عاماً من السقاية.. ولم تره عشرين عاماً.. من انتظار الخلف..



ها هو الجواهرجى.. يترك مسبحته .. ويلبس سيدة سوارا من ذهب .. مشغول .. إحمر وجهه.. وضرب فيه الدم .. يتحسس الجواهرجى يدا طيعة.



المسبحة!!

إنها تتحرك كأفعوان من عقيق.. فأسرع وباع بالثمن البخس .. وراح إلى نفسه يعنفها.



[يالك من امرأة حسناء.. لم أرها منذ عشرين عاماً..] وهنت السقا..



ها هى عتمة النفس تحل على صحن الدار..

الزوجة الوفية على بساط أخضر . تسمع طلقات الزير.



ترفع عن زوجها ثوبا تغيرت رائحته.. وتشم من المسبحة رائحة الحناء.

....

....

....

جلس الجواهرجى..

تقول الجميلة.. [يا حاج .. ماذا فعلت اليوم؟]..

سقط الجواهرجى..

وها هى النفس.. تغلق على أبوابها.

قصة

حكاية
العضلة القابضة

عبد الحميد البسيونى



كان صمت ،وقطرات مطر خفيفة تنقر الزجاج العريض كمناقير لعصافير مذعورة الزجاج «فاميه» بنى غامق لنافذة كافيتريا -على بابا-فى قلب ميدان التحرير، وكان غضب-، قالت : هذا هو جوى ، بموت فى البرد..

فى الخارج الجو ملبد بالغيوم ،وهى تلف نفسها بالبلوفر الصوف بينما(الجيب) القصير يكشف عن فخدين طويلين محببين من أثر البرودة -لكن كان غضب.

هو-قد نظر من النافذة المستطيلة ،فى حياد ظاهر، لم يكن ينظر إليها ، لم يكن يرغب فى النظر إليها ، ولما تمكن -بصعوبة بالغة من رؤية النصب فى قلب الميدان هاجمته برعونة فكرتان محوريتان ،هما الكعكة الحجرية ،والعضلة القابضة.



هناك فرق -بالطبع- بين« الكعكة الحجرية » وبين « العضلة القابضة » ،فالأولى هى قصيدة الشاعر أمل دنقل (الذى اغتيل بواسطة السرطان) والتى كتبها عقب الأحداث الطلابية عام ١٩٧٢.

هى ليست كعكة عرس أو عيد ميلاد ، لكنها التفاف وتشابك أيد وغازات مسيلة

للدموع وضرب بالهراوات وتأوهات وأناشيد وأشعار مؤلفة بنت اللحظة وحناجر تزعق بالهتاف القديم الجديد : كانت جالسة إلى جانبي مقرفصة ؛ ظهرنا للمتحف المصرى ووجهنا للنصب ، كنت أريها القطع الذى حدث في بنطلونى الجينز الوحيد الذى أمتلكه وهى تدلك الجرح بيدها البيضاء في حنو شفيف ،كان جندى الأمن المركزى وفي لحظة غضب مفاجئة قد هوش ناحيتنا بكعب بندقيته وكنت قريبا جدا منه فاشتبكت قطعة حديدية منه ببطن ساقى وتركت أثرا داميا بطول الساق بعد أن تمزق البنطلون السميك ، تكالب عليه الرفاق وأزاحوه بعيداً ، كانت شاهنده السمرى- هى الأقرب لى، قرفصت إلى جانبى وأخذت تجفف الدم بمنديل ورقى كان في يدها ، ما زال الدم يتدفق ،كان جرحاً غائرا جداً وطويلا ببطن ساقى ،فوقفت حائرة ،الرفاق منشغلون كجنود في كتيبة مرتبكة كادت معركتهم أن تنتهى دون نتيجة حاسمة ،كانوا يلتفون حول الميدان في فوضى وعصبية دون أن يلتفتوا إلى جرحى النازف ،فقط كانت شاهنده حائرة ، تكتم الدم بيدها التى غرقت الآن بالدم دون فائدة ، ثم قامت فجأة وبهمة ،كأنها قد أخذت قرار حياتها بفك أزرار بلوزتها العلوية ، وانتزعت « السوتيان » .كان أبيض وباهتاً ومبطن بطبقة من القماش السميك ، ولفته فوق ساقى ،بحذق ومهارة ممرضة محترفة ،ونسيت أن تعيد الأزرار إلى وضعها فبان صدرها ولم تهتم ، استكملت ربط الجرح كأنه طفل ترغب في إنامته ،فيما رحت أنا أزرر لها البلوزة المفتوحة ، وأسوى لها شعرها الأسود الفاحم الذى يعوق رؤيتها ،حتى أننا قد جلسنا فوق الرصيف ، وسط ضجة الرفاق ،متلاصقين ، مهددين في انتظار أن يعلن السادات الحرب أو يكتب أمل : إيها الواقفون على حافة المذبحة..



كان غضب ، في داخله كان الغضب ، بعد أن قالت « بموت في البرد » كان الغضب يفور بداخله مثل ماء يغلى، وكان ينظر من النافذة العريضة فيرى الهيلتون ،وجامعة الدول العربية ، نفس المبانى القديمة ،قد فقدت روحها ، ثمة شئ غامض قد هجم عليها وفرغها من مضمونها الأصلى وفكك من بنيتها الداخلية ، على اليمين المتحف المصرى وقد هده التعب والمطر الخفيف يتساقط في رتابة فوق بنائه الباهت ،وفي المواجهة النصب، آه .. ذلك النصب ، مغروس في القلب مثل عرافة

عجوز أفقدها التغيير المباغت قدرتها على الرؤية ،والتنبؤ ،والناس، ناس القاهرة ، يركضون تحت المطر ، مكللين بالعار ، مهزومين ، يدفعهم بؤسهم اليومي المرير ناحية الشوارع الجانبية، تجاه المبنى الأبيض للجامعة الأمريكية حيث بدأت البنات الفاتنات الآن، بسيقانهن الطويلة الفاتنة وشعورهن الملونة فى المشى الحثيث نحو سياراتهن المركونة فى مدخل شارعى القصر العينى وباب اللوق، كان مطر خفيف،وكان غضب ،الغضب يخصه هو، وحده ،كانت قد جاءت بعده بساعة كاملة وطلبت الليمون بدون سكر وأحضر له النادل زجاجتى البيرة مرة واحدة بناء على طلبه ، وقالت هذا هو جوى وكانت تبتسم،كانت « الكافيتريا » خالية تقريبا إلا من حبيبين جالسين على جنب يتبادلان تلامس الأيدى وتحسس الأجساد ،فى مثل تلك الأوقات كانت تترك الكرسى المواجه له وتجلس إلى جانبه ،تلتصق به، « علشان نعرف نتكلم » ،وكان هو فى فرح يمسك بكفها الصغيرة الوردية بين كفيه كعصفور يخاف عليه من الطيران المباغت ،ويمسح فوق ساقيها الطويلين الجميلين فى حنو كى يدفئهما من البرد ، لكن كان غضب ،غضبه الخاص ،حتى أنها بعد أن أشعلت سيجارتها « الكنت » الثالثة قالت وهى تتصنع القلق: آه.. بالنسبة للمرة اللى فاتت ..مقدرتش أفلت.. كان فيه ظرف صعب قوى ..هتسامحنى ..مش كده؟ عندئذ بدأ غضبه الخاص فى الظهور ، وبدأت اللحظة التى حاولت كثيرا الهروب منها فى التثبت .كان قد شرب زجاجتى بيرة أيضا فى« المره اللى فاتت » وفندق « حور محب» بزينته الفرعونية الزائفة، وهى لم تأت.

مرت الدقائق والساعات ولم تأت ،فاضطر إلى مغادرة الفندق فى الخامسة وهجم عليه شارع الهرم مثل كلب مسعور ،فى بهو الفندق ومنذ الثالثة كان الإخوة العرب يروحون ويجيئون، وهم يحملون هواتفهم المحمولة وكأنهم يديرون حركة الكون ،ونساؤنا المصريات فى أعقابهم كأنهن مربوطات بحبال النفط ،وشهوة الاستهلاك المدمرة، يأتى الواحد منهم- الإخوة العرب –وسيالة جلبابه مكدسة بالدولارات فتفتح الثقوب فى شارع الهرم وفى الحوارى وفى قرى الدلتا، تتفتح ثقوب فى الأنثى كلها حتى الثقب الثامن المقدس، والذى على الأخ العربى أن يحدد- طبقا لمزاجه الشخصى -إن كان من قبل أم دبر ، مثل كلب مسعور ، شارع الهرم، هاجمه أيضا الصهد الذى يطرده الشارع من جوفه وكان الشعور بالمرارة لعدم مجيئها قد

بدأ فى الصعود ،فجلس على أقرب مقعد حجرى تحت مظلة الباص الذى سينقله إلى ميدان التحرير ، كانت المحطة مكدسة بالخلق ، ثم حدث الأمر ،فى لحظة خاطفة ،مباغتة ،غير إرادية ، بدأت الرعشة من أسفل، من القدمين ، ثم الساقين، رجفة غريبة كأنها آتية من خارج جسده ، وضد قوانينه البيولوجية الخاصة، الساقان الآن ترتجفان، فيضمهما ، ولا يلاحظ أحد من الجالسين إلى جواره أو الواقفين أمامه أو خلفه شيئا، فقط يضم ركبتيه ،وهما تتشنجان، يرتعشان وكأن الروح تخرج منهما تواً ، يضمهما بقوة- الركبتين- وهو يضع كفه بين ساقيه ،ويشعر به، عضوه ،غير منتصب ، ساكن ، هامد تماماً ، إلا أن السائل يصعد من ركبتيه ، سائل صلب ،كثيف ، يصعد بهدوء ، وبروية، فى صبر ، وأناة ، عبر لحم ساقيه وداخل شرايينهما ،متجهاً صوب كرتيه الصغيرتين المستكينتين تحت قبضة كفه، ثم عبر القضيب الساكن أيضا فى قذفة قوية ، مثل البصقة ، سميكة ووافرة ودافئة، فيغرق غياره الداخلى، ويحس بالبلل ،وتظهر البقع الداكنة فوق البنطلون، ويغمره العرق، فيشعر بالانتعاش المفاجئ ،والسكينة ،كأنه قد سقط فى بئر ماء بارد ، وينسى تماما أنها لم تحضر ، هو حر الآن، وهى لاشئ ، بنت وسخة دايرة على حل شعرها ، ينسى حتى الإخوة العرب ،وحور محب، وشارع الهرم والثقوب الثمانية فى جسد المرأة، فقط الآن هو حر ونشط وممتلئ بالثقة والانتعاش.

٤

هو يدخل عالم الكوابيس ، بالرغم من كونه مدركاً تماما أنه قد نزل من الميكروباص الآتى من الهرم ،وعند نزوله تحت كوبرى أكتوبر كان الموقف الجديد غريباً ،الفندق الفخم الجديد الذى شيد بعنف وقوة رأس المال قد طوح وبحركة واحدة بالكاتدرائية الجميلة التى كانت تتوسط الميدان ، خلف المتحف ، وبيت عمته ميمونة بأدواره الثلاث قد أزيل تماما ،وكذلك بيت بلواكى والبيوت الصغيرة المقابلة حتى ورشة توستا وتونى، كان يقف وهو صغير أمام المنزل ليرقب مذيعات التلفزيون وهن مارات متوجهات إلى المبنى القريب ، يرقبه وهو القروى فى انبهار بين صورهن الصغيرة فى الأبيض والأسود وأجسادهن الحية الآن وشعورهن المرتبة وملابسهن المثيرة وهن يتمخطرن أو يضممن البلاطى الصوف فوق أجسادهن المشنوقة الحلوة. ثم هدير المترو المفاجئ يوقظه وهو يفرمل عند نهاية

الخط، والنيل شاخص تجاهه ولا يفهم شيئا بالتأكيد ولا يعلق على شئ ،ها هى روحه العجوز تترنح وقد ساءها أن يحدث ما حدث ،وهو أيضا كان مستاء ،فقرر أن يخترق ميدان عبد المنعم رياض متوجها إلى ميدان التحرير أو يدخل شارع محمود بسيونى ليستعيد رحلته القديمة منذ عشرين عاما ، هو وإبراهيم ابن عمته ميمونة تلميذ الإبراهيمية الثانوية كان مفتاحه لدخول القاهرة ، يأخذه إبراهيم فور وصوله إلى شارع سليمان باشا ثم إلى وسط البلد، بنات مصر فرحات كاشفات عن أذرعهن وسيقانهن ، بينما الرجال صارمو الوجوه يركضون فى الشوارع دون سبب محدد، ثم هو وإبراهيم يأكلان الآيس كريم من جروبى سليمان باشا، الآيس كريم اللذيذ بالفستق فى قراطيس من مادة طرية تذوب فى الفم.

هاهو إذن ينتهى من شارع محمود بسيونى ويفكر فى المرور على الآتيليه أو حزب التجمع ، لكنه يركض دون النظر إلى مكتبة مدبولى التى تقلصت الان وبدأت تلملم أطرافها من الشارع إلى داخل المبنى، ثم يعطى ظهره للتمثال البليد الذى يقف بلا معنى ويتجه صوب شارع سليمان وقد بدأ يشعر بالجوع.

(بعد أن شعرت بالجوع تذكرت التابعى الدمياطى ،عليه بالاتجاه يمينا قبل سينما مترو مباشرة ،حتى ميدان عرابى، وسأجد بالتأكيد عبد الفتاح الجمل يخطف ساعة من عمله بجريدة المساء المجاورة للتابعى ،هو القصير بشعره الأكرت ونظراته القلقة المتوثبة ،كما أنه صانع كوكبة من الكتاب، أو فلنقل هو الذى أعطى الفرصة لجيل كامل من كتاب الستينيات للبزوغ والتحقق ،وسأترك كل ذلك ورائى.

لقد انتهى كل شئ الآن وبدأ الحلم فى التحول إلى كابوس مقرف، كل شئ، كنت أسير فى اتجاه ميدان عرابى، غائب تقريبا عن الوعى ،والبقع التى فوق البنطلون بدأت تظهر فى الشمس، ولم تجف بعد ،دمها المرافق فوق رجلى لم يجف بعد، كأننى دودة، كأننى إحدى شخصيات «كافكا» .فكرت كثيرا من قبل ،كيف استطاعت هذه البنت الصغيرة أن تتمكن منى إلى هذا الحد، هى الآن لم تعد بنتاً ولم تعد صغيرة، هى التى كتبت عنها فى قصصى السابقة، عن البنت الجميلة ،وكانت فى الرابعة والعشرين ،تماما ، قالت لى ذات مرة : اسمع ..أمامى الآن خمس سنوات فقط ثم يبدأ الكبر يركبنى ، ففهمت أنها تفكر بلغة السوق ، كل واحد يدخل ومعه رأسماله ، الاعلانات المستمرة كذلك فى الراديو والتلفزيون ، وقد تمكنت من خلق

إنسان جديد قالت : لا أملك سوى جسدى ..أنا الآن صغيرة وجميلة وأمامى خمس سنوات فقط.. وكأى تاجر ناجح لابد أن تستثمر رأسمالى الخاص ،ملكيتى الخاصة ..كانت قد نامت مع أربع رجال كبار حتى الآن ، أربع محطات للوصول ،الوصول إلى ماذا ؟ كانت تتعامل مع جسدها مثلما يتعامل التاجر مع دكانه ،بضاعته،عندما ألمسها فى موضع ما من جسدها تصرخ على الفور :حاسب على البضاعة ،كأن جسدها بضاعة بالفعل ،كان ذلك منذ أربع سنوات مرت ،هى الآن ليست بنتاً وليست جميلة، الآن وأنا قد انتهيت من ميدان عرابى متوجها ناحية التابعى الدمياطى أراها على حقيقتها ،عيناها التى كتبت عنهما زمان. هما عينان أسيويتان مسحوبتان بغير نظام، وجهها منفر وفمها كبير غير متناسب مع الوجه الطويل الرفيع وكأنك تنظر إليها من زاوية منحرفة دائما ،هى الآن تكاد تكون دميمة، بل هى دميمة بالفعل ،وتيقنت من أن الكاتب يصنع دائما من المرأة التى يحبها أسطورة ، بدون مبرر معقول ،هل نكتب دائما عن المرأة التى فى خيالنا ولا نرى المرأة الواقع ،دائما ، ولكن ماهو إلواقع بالضبط؟ هل هناك واقع فعلا ؟ هذه السيولة المتدفقة عبر الزمن مثل تيار ماء يجرف كل شئ فى طريقه ،ميدان التحرير ،الكعكعة الحجرية ، الكاتدرائية ، بيت عمتى ميمونة، المتحف المصرى ،بيت بلواكى ،النيل وشاهنده السمرى وكل هؤلاء البشر من حولى ، ميدان عرابى لم يعد هو ميدان عرابى، معرض الهيئة العامة للكتاب فانحرف يمينا ، شبه راكض ، وطرف عينى فوق البقع التى تلوث سروالى،الأكشاك الكثيرة التى تكدست فى شارع عرابى مثل بقع سرطانية ثم التابعى الدمياطى، ولأدخل ، لم يكن عبد الفتاح موجودا، وكانت هناك رائحة نتنة تملأ المكان ، ثم أتذكر أنه قد مات منذ زمن وأن أهم كتاب مصر -هؤلاء الذين فتح هو لهم الباب -قد زحفوا من القاهرة ومن قرى مصر البعيدة إلى دمياط كى يواروه الثرى، أخذ معه واقعه ومات ،الواقع مرة أخرى ، هذه الذرات والأرواح المقتولة فى البرارى دون جدوى ،والحيرة ،حيرتى أنا شخصيا وفرويد يؤكد بأن الفن هو تصعيد للغريزة فابتعد عن جسدى قليلا كى أتمكن من الكتابة وبين «داريل» كاهن الإسكندرية العجوز وهو يؤكد على لسان بورسورادن : مارس ..مارس كثيرا كى تكتب كتابة جيدة.. وحيرتى أمامها فى قصر ثقافة الإسماعيلية الفخم مثل أوبرا ،كنت أراها للمرة الأولى ، قالت لى بأن

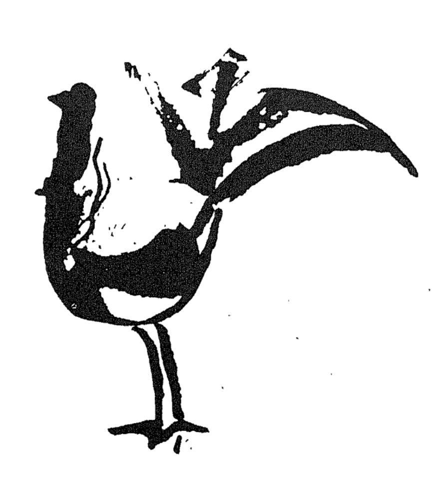
مجموعتك القصصية الجديدة مجموعة جريئة ورائعة فقلت لها جيد فلنجلس ونتفاهم ،عندها فأجاتنى : أنا أحب الأماكن المغلقة ،وفى اليوم التالى كانت قد شقتى.

فلنؤجل الآن ما حدث فى اليوم الأول لرؤيته الأولى لها، وكذلك عندما ذهبت إلى شقته ، فهو قد قرر عدم الأكل عندما هاجمته-من المطعم المفضل لديه أو الذى كان مفضلا -تلك الرائحة النتنة ، ومن حسن حظه أن المطعم الذى هبت منه تلك الرائحة النتنه كان قريبا من موقف «القللى» حيث الأتوبيس المكيف الذى كان يفضل أيضا ركوبه عن السيارات «البيجو» والذى سوف ينطلق بعد ربع ساعة إلى الإسماعيلية.

من حسن حظه أن الجو كان حارا جدا ،كانت الشمس تصب جام غضبها -مثلما يكتب الأقدمون-فوق البشر ،هذه الحرارة وذلك العرق بالرغم من القرف الذى كان يشعر به كانت لها ميزة كبرى، ربما لم ينتبه إليها، هذه الميزة هى أن الشمس قد تمكنت أخيرًا من امتصاص البقع التى كانت تلوث سرواله، سرواله الداخلى «الكلوت» وسرواله الخارجى« البنطلون».

الآن قد جف دمها تماما وكأنه وبمساعدة قوى الطبيعة قد تمكن من التخلص منها، انتزعها من داخله ببصقة واحدة ،كانت تلك البصقة لها فعل السحر، كانت أقوى من كل تلك الحيل التقليدية الفاشلة والتى دأب منذ ثلاث سنوات على اتخاذها كى ينساها.

هو الآن ، سوف يركب أتوبيس الإسماعيلية المكيف، وهو خال منها تماما ،خال وممتلئ بذاته ، سوف يركب الأتوبيس ولن يركبها مرة أخرى ،عندما كانا يسيران فى شارع سليمان باشا، ذات محاولة فاشلة فى نسيانها ثنت ذراعها فى نصف دائرة وأمسكت بذراعه وقالت: اركب.. وبالرغم من معرفته بأنها تجيد تلك الإشارات الجنسية المبتذلة إلا أنها كانت تهمس باركب هذه المرة ليست كإشارة ،وكان وجهها الدميم ملتصقاً بوجهه ،أنفاسها وعرقها وجسدها الطويل المشوق ،الطويل البارد ،الطويل مثل نخلة ذكر لا تثمر ، كان هذا الجسد، ياللغرابه ، يدعوه للركوب وهى تقول : اركب .. وسط زحام سليمان باشا، ساعة القيلولة، ساعة إحدى شخصيات «كافكا »وقد تمكن من الخروج منها، فى نفس لحظة خروج القذفة ،هناك



فوق محطة الباص أول شارع الهرم فى فعل ورد فعل، هو الآن سوف يذهب إلى الإسماعيلية ، إلى بيته،وهو متأكد تماما بأن هذه هى المرة الأخيرة ، لن يراها أو يحدثها مرة أخرى ،أبدا،فهى لم توجد أصلا ولن توجد.

٥

وهكذا .. لم نتمكن من كتابة شئ عن العضلة القابضة ،أخذنا الحديث عن شاهنده السمرى ،وعن فتاة شارع الهرم، وكذلك الحديث عن الثقوب الثمانية فى جسد الأنثى ،كنت أعتقد أنى أول من تنبه إلى هذه الثقوب لكنى قرأت أخيرا رواية للروائى التشيكى « ميلان كونديرا » ذكر فيها هذه الثقوب ثم عرفت فيما بعد بأن الكاتب الفرنسى الكبير « فرانسوا رابليه» هو أول من لفت الأنظار إليها منذ زمن قديم ولكن هل هناك علاقة بين كل ذلك وبين العضلة القابضة؟ ربما.. أقصد ربما نعم وربما لا..

قصة

فـــرح بالموتـــى

صفاء عبد المنعم زايد

من أنتم؟

واحة كسلى أتمدد داخلها.

أتحرك ببطء العاشقين الجدد ، الذين لم يعلنوا عن صبواتهم ، ولم يرفعوا راية الاعتراف، ولم يخمن الأصدقاء بعد بأيهم ، وأين بدأت العلاقة . فقط كنا نلتقى الثانية ظهراً على مقهى البستان ، نطلب الشاى الساخن ، ونأكل السندويتشات من فلفلة.

كان فرحاً بخروجى من جعبة الأسر الطبقى والأنثوى . كان يغزونى بحنان وقوة مقاتل.

كنت أمد يدى كى يلتقطها ونحن نسير ليلاً من التحرير إلى الحسين ، ونجلس على مقهى السكرية .. هناك فى ركن قصى .. أمدد ساقى المتعبتين ، ولاأبوح بالألم فقط أصمت، وأتأمل وجهه المثالى الذى يشبه وجوه الفيوم ، وبسمته المتواضعة الطازجة التى تريح روحى المرهقة.

وحدثنى عن طفل صغير يهوى اللعب وحفظ القرآن ، وعن أب مات بسرعة متواضعة ،

وسرب الحمام الأبيض الذى كان يلازم النعش طوال الوقت.

حدثنى عن شارع أبو هريرة ، وأم المصريين وبيت متواضع يسكن فيه الأهل ، وأخت صغيرة جميلة تشبهه ولها اسمى.

حدثنى عن الفيوم والبركة والبيت المهجور.

حدثنى عن عصفور صغير وقف على شباك حجرته وأنقذه من الموت فى ٨٧.

وهكذا كنا نسرق اللحظات ونغيب عن الوعى ، عن الأخرين ، عن الحريات المهدرة فى العشق.

عن العيون التى تتلصص ، والألسن التى تجيد نسج الحكايات والغزوات والصبوات ، ونشر الهزائم بقناع ودود ، وأمام دخان السجائر وشرب الشاى.

كانت لنا هزائمنا ، أحباؤنا ، أعيننا التى ترى وتكشف الحب. فى مقهى فينكس أعلنا الحب وتواضعنا.

كنا أول اثنين نبيح بحرية أن هناك آخر يسكن داخل كل منا ولابد من البحث عنه.

الآخر الشبيه.

الآخر المعلق داخل كل منا.

وأن العلاقات لاتتشابه.

شرائط ماجدة الرومى أول أسطورة للحب.

أول الفاتحين

أول العاشقين يهفو للقاء حبيبه.

وضم يدها الصغيرة بين يديه الرقيقتين وغنى:

عصفور عبيط أنا .. غاوى بهجة وغنا

ح انزل هنا .. وانشالله يهبرنى فخ.

سينما كريم قريبة من المساء.

نسير عبر الشوارع نغنى ، نرقص ، نتحايل على الجنيهات القلية التى معنا ، نسرق الوقت ، والحب ، وريحة الأصدقاء ويقوم يسرى حسان المجند الجديد ببعض الجنيهات على عزم الشلة على فول وطعمية من آخر ساعة.

ونسير عبر شارع عماد الدين ، نقضم الضحكات ونتقاسم اللقمة ، ونجرى مهرولين

، صائحين :
ماأحلى الحياة .. ولو فى أواخرها
ماأحلى الحياة .. ولو فتافيت
ونذهب من عماد الدين إلى طلعت حرب ، نجلس على البستان الطيب ، الذى يحوينا
ويفتح لنا ذراعيه ويهش عم أحمد فى وجوهنا المرهقة ، ببسمة ودودة طيبة:
- أيوا يابهوات.
- شاى كشرى ، وسكر بره ياراجل ياأمير.
ونجلس.
بتواضع الألفة ، ولمة الصحبة.
نحكى ، ونضحك ، ونقرأ ، ونسمع ، ونتبادل النكات.
شحاته العريان
مجدى السعيد
أسامة شهاب
مسعود شومان
حسن رياض
محمد الحسينى
مجدى الجابرى
ابراهيم داوود
وتتسع الدائرة ، تتسع ، تتسع ..
ويأتى أخرون.
كأن العسل يذوب فى هذه البقعة ويأتى
أحمد اسماعيل
وأحمد الديب
وتكثر النكات ، وتعلو الضحكات ، ويتوافد الأصدقاء ، وتفتح القلوب على سعتها ،
وتعلو الضحكة تعلو .. تعلو ،

ويسمعنا أحمد خلف

الكعكة الحجرية

ويغنى أحمد الديب.أغنيات لفؤاد حداد.

ونجرى وراء الندوات العامرة ، الزاخرة،

ندوة الفجر.

نادى القصة .

ندوة المساء.

الغورى.

كنا نخرج لاهثين من المساء إلى الغورى ، وأجرى خلفهم بأقدامى المتعبة بين طاهر البرنبالى وناجى شعيب ويضحكان لأننى نطيت من الأتوبيس وهو يجرى. فيجرى ورائى ويلحقنى ياسر الزيات وصلاح عيسى.

أما الصديق الجميل صاحب البسمة الودود والذى كان يبنسمها بخجل المتورط فى المعرفة محمود الحلوانى.

الحلو كما يحلو لنا أن نناديه.

أعطانا قلبه ووقته ، وسرقنا الأحلام سوياً.

وغنينا أغانى الشيخ إمام ومرسال خليفه وفيروز.

ياسكندرية بحرك عجايب

ياريت يكون لى فى الحب نايب

تاخدنى موجه

وتجبنى موجه

وأجرى خلفه وأضحك : طب استنى ياطويل

بكره نشوفك لما تحب هتعمل إيه؟!

يبتسم.

ونبتسم.

ونجرى

نجرى

نجرى

أول العلاقة.

أول الحنين

بحنو أب وروح صديق ، ابتسم محمد جبريل فى ندوة المساء وأعلن خطبتنا.

وفرحنا

فرحنا.

كأننا كنا على موعد مع السعادة ، مع الأصدقاء الطيبين وقلوبهم المرحة التى كانت تسعنا فنجرى ونمرح داخلها. وأرسل فى طلب صندوق حاجة ساقعة.

ووزعه على الندوة احتفاء بأجمل شخصين وأعز اثنين.

وتبسم بسمة أب لن أنساها وقال: أنا فرحان قوى ياولاد.

فرحة عمت الجميع ، ملأت شارع الجمهورية ، وشارع عماد الدين ، وطلعت حرب ، وزهرة البستان.

سارت معنا من التحرير إلى الحسين نغنى:

أنا أحب أقول الشعر فى الحلوين.

والحلو أقوله ياحلو فى عيونه.

وأغلق صلاح عنانى ندوة الغورى.

وكما تندر يسرى حسان بفكاهة ابن البلد الجدع قال:

صلاح عنانى دبر مذبحة القلعة للشعراء والزجالين.

وضحكنا

ضحكنا

حتى الفجر ..

ضحكنا حتى..

انفجرت قلوبنا على أول صدمة ، عرفنا بعدها طريقاً آخر

وباباً فتح على مصراعيه .

وأخذ منا أول ماأخذ خالد عبد المنعم.

أراه الآن أمامى واقفاً يبتسم .. ويرفع هاميس بين ذراعيه ويقبلها.

- ربنا يخليها لك يامجدى

ورحل من نفس الباب ، نفس المدخل ، نفس الهواء الثقيل ، والريح العاتية

حملت إبراهيم فهمى . ترك وراءه بحر النيل.

والليلة ياسمرا

وكنا نغنى مع محمد منير .

بحزن النوبة ، بأيام بدأت تتسرب وتبعدنا ..

وأخذ يبتعد .. يبتعد.

الليلة ياسمرا .. يبتعد.

الليلة ياسمرا .. يبتعد.

آه ياصديق لم أعرفه ، ولم أقترب منك أكثر من بسمة ودود.

- إزيك ياعمر وازى مايسة.

آه ياصديق عرفته عبر وجهه الأسمر وبسمته الصافية.

ويرحل عمر نجم.

ويأخذ معه بهجة طعمها عسلى مثل بشرته.

طعمها طازج مثل قلبه.

ويتبعه عبد الدايم الشاذلى.

قابلنا فى شارع القصر العينى ، وضحكنا ، قال مودعاً

- أنا محجوز فى المستشفى

هاعمل عملية بكرة فى عينى.

ابقو تعالوا..

سلام يامجدى..

سلام ياشاذلى.

وكان سلاماً

وكان حلما.

وكان قلبا

نلقاه فيضحك

ويجلس معنا للحظات

ويقوم واقفاً

سلام.

وتوالت الهزائم، وكبرت هاميس، وأتت مى، وفى يوم على غير عادته دخل مجدى من الباب صامتاً.

جلس صامتاً.

أخذ ينقر بأطراف أصابعه على المكتب كأنه يبحث عن شئ، أو يفكر فى شئ.

سألته : مالك يامجدى..

- خبر وحش، مش عارف أوصله إزاى

أروى انتحرت

جلسنا ننظر إلى الكتب والمكتب والطفلتين، صامتين.

لم أبك، لم أعلق، لم أحرك ساكناً، فقط. صمت.

وبت ليلتى أفكر.

ماهو الموت؟

لماذا يأتى بكل هذه الخفة؟

لماذا يذهب المقربون ويتركون حزناً لاينتهى.

وسعل مجدى الجابرى سعالاً متواصلاً.

ودخن بشراهة لم أعهدها.

ووقف ليلة كاملة فى البلكونة يدخن .. يدخن.. فى برد الشتاء.

ومرت الأيام سحابة قاتمة.

طويلة .. باهتة

فقدنا توازننا.

فقدنا رغبتنا فى الظهور.
أصبحنا كائنات بيتيه.
ظللت أحلم بوجه أروى طوال الليالى، والقلادة الفضية فى يدها .. وأنا أعطيها كتابى الثالث (أشياء صغيرة وأليفة)
وأضحك معها.
وتطلب لى شاياً.
ونضحك
نضحك.
نضحك إلى أن دخل مجدى الجابرى معهد الأورام
فضحك إلى أن خطف مجدى الجابرى من معهد الأورام
ورأيت الأصدقاء ثانية.
جميعهم.
لأول مرة بعد غياب ندوة المساء وهدم ندوة الغورى.
أراهم هكذا دفعة واحدة.
إنهم كثر .
ربينا بداخلنا أصدقاء كثيرين.
وصنعنا حمية وطيبة.
ولم نق أنفسنا من الموت.
الموت يتخاطف الأحباء واحداً تلو الآخر.
وعيون.
عيون.
موت.
ومرت الأيام، وحمل القدر فى جعبته الحبيب، ورحل.
وظللت أنتظر.
أنتظر



وعلى غير عادة رأيتها سناء المصرى بوجهها الشاحب، وشعرها القصير ، وبسمة مناضلة أحبت نضالها ، وأغلقت عليه صدرها الرقيق ، المريض ، الطيب .

تدخل بطيبة وفرحة كأنها رأت كنزاً أو حبيباً غائباً.

وفتحت ذراعيها ، وضمتنى بينهما.

– ازيك ياصافى

وحشانى.

وإزاى البنات.

وجلسنا نحكى عن الأيام.

نحكى عن الأصدقاء

نحكى عن الوحدة

نجكى عن الحبيب العارى

نحكى ونحكى ونحكى.

وتركتنى وحيدة أجلس على منضدة صغيرة ، وكرسى من القش فى مدخل الأتيليه.

شعــــر

عصفــــور

خالد حريب

طار الكلام زى عصفور بتهدده طلقه
مبخافش م الموت .. لكن بحب الحياه
مرجيحه من قبل العذاب دايسه البدن والروح
شديت فرامل وقفت اللعبه
دوخه وحيره وأسئلة
ماشى على دماغك
ولا على كعبك؟
ولا الطريق نازل وانت بتدحرج؟
شايل جحيم الزحام .. بتعاند المطروح
يجمع عليك العذاب الضرب
مش فزلكة لو قلت .. القسمة مش عادله
حزمة أمل من بين ضلوع الصدر
كما الحدود فاصله
مرجيحه مع مفترق مع شك فى الموضوع

انت مصدق مين ؟
حسك وزمن البكاره
مع انفلات الضوء
ولاسلالم عمرنا الدايب
جته متقطعة على كل ناصيه كلام
أحزان بتسخن فى الوريد
الدم ويّ الأسئله بينام
لاتنين حبايب فى زمان خايب
وانت فى المرجيحه متعلق من رموش عينك
مخلوطه ليه الصور ؟
قال يعنى مش عارف
حلفت بالله العظيم
أنا من زمان شايف
ومسكت حبل المقاوحه
خدعنى بدن معتل
الروح بتتسرب من بين شقوق جلدك
ماقصدش اكتبْ قوافى
لو قلت الميزان اختل
راكع أمام جبروت من دهب قشره
ماكنستش السيده
ولاقلت تعويذه
الصبر مش ميزه
والانتحار أهطل



مبخافش م الموت لكن بحب الحياه
عصفور بيحلم وحلمه سكته ونجاه
مرجيحه من غير فرامل
دوامه من غير قتيل
مزيكه من غير آلات
من حزن ع الجنبين بنطلع
مشتاقين للحزن.

تواصل

نافذة المبدعين

هنا غيض من فيض تواصل مجلتنا مع الكتاب والأدباء عبر «نافذة المبدعين». تلك النافذة التى سنحرص على أن تظل ثابتة مفتوحة بيننا وبين الأدباء فى كل رقعة مصرية وعربية.

وسوف يلحظ القارئ أن الغالب الأعم على هذه النصوص هو الوجع المحرق تجاه القضية الفلسطينية والانتفاضة الباسلة والقدس .وهو الوجع الذى يؤكد أن شعبنا المصرى والعربى (وطلائعه المبدعة) سيظل متفاعلاً مع القضية الفلسطينية مضادا لإسرائيل والصهيونية ،حتى يحل العدل ويعود الحق لأصحاب الحق ، وأن محاولات المعاهدات الرسمية مع إسرائيل ومحاولات السلطات العربية «غسل الدماغ» العربى من الانتماء إلى فلسطين والعداء لإسرائيل هى محاولات فاشلة لم تفلح فى جعل العدو صديقاً ولا فى جعل السفاح إنسانا.

« أدب ونقد »

قصة

مساواة أم مواساة

* هى شاردة تفكر بهدوء وتركيز عميق تستدعى المنطق وتستضيف الحكمة لتشاورهما فى أمور عديدة اختلطت عليها كثيراً بلا تفسير ، يرشداها للتعقل واسترجاع الذاكرة وترتيب الأحداث لتبدأ معه الحوار.

* هو أيضا منغمس فى صمته وميزان العدل أمامه يحركه بأصابعه يتذبذب ، يعلو ويهبط بلا اتزان ، يبحث عن الخلل ويفتش عن التوازن يستعد لا مفر لبدء المواجهة بينهما لأول مرة وتبدو أنها مواجهة حاسمة.

-أيها العصرى المتفتح.. أما زلت تحلم بحلمى ؟ أمازال يراودك أملى؟ ألا زلت تسبح بأعماقك وتغوص بداخلى تتخطى قشورنا وتتعدى ضعفنا .. فتهمش أنوثتى وتضع رجولتك جانبا وتعطى الأولوية فقط لنضج الفكر ورجاجة العقل ليكونا المقياس الحقيقى لتقييمنا معاً بموضوعية وحيادية لنسلط الضوء وبكل جرأة على أبعادنا المجهولة جهلا وأفكارنا المبتورة عمداً.

- نعم وما زالُ حلمى ملحا أن نتحرر سويا من سجننا المفتوح ونسعى للانفلات من زنزانات الخوف والأحلام المهلهلة والعواطف القلقة والعيون الزائغة إلى لا شئ.

-أليس الأجدر لكلينا أن نعترف بواقع ارتباطنا وحقيقة اندماجنا وحتمية مصيرنا الواحد منذ الخلق إلى الآن حينما نسترجع تاريخ إغوائنا معا وقصة الطرد والهبوط المخزية تتبعها رحلة العناء والكبد لكلينا ..بنتذكر معاً عهود استباحتنا وأهوالنا داخل أزمنة الرق والعبودية (عبدا كنت فإذا بى جارية) تتلقفنا عصور الظلام فيتساقط كل منا فريسة لبراثن الجهل وقهر الاحتلال وما انهال فوق رؤوسنا من حروب مضنية ..يتسابق بعدها كل منا ويلهث تسبقه الأنا والنرجسية طمعا فى الانطلاق قبيل الآخر فى دوامة لا تنتهى.

-لذا آن الآوان أن نحطم أطواق الخوف والعداء الموروثة بيننا ..نتحاشى صدام الندية وبلبلة التطلع لمساواة هشة تسير الشقاق والفرقة وتدعو للدهشة والشفقة ..نذير أسلحتنا كل عن صدر الآخر ونرشقها بعيدا فى وجه القهر.. فى عين الظلم ..فى قلب الخوف.. فى رأس الفقر ..فى أذن الكذب ..فى أطراف الجهل المترامية ..فى أنف الضغوط ..فى كبد الكبت ..فى ظهر اليأس ..فى ذيل الاستسلام ..فى فخذ الجمود .. فى فم الصمت ..لنتفرغ لإعادة اكتشافنا ..عن أفقنا المطوى فى ظلمات التشتت الحالى.

-حقا نعلو فوق المساواة بمفهومها

المفتعل لنبحث بجدية عن كينونتنا معا بعيدا عن أى نظرة قاصرة ويدانا نظيفتان لا تسعيان للتلامس والإيحاءات الرخيصة ..بل متحفزة لإصدار إشارات بدء جادة لانطلاقنا معا والتصفيق بشدة لكلينا .. تشيد بفكر عصرى متزن يسعى للرقى والارتقاء لنستحق الحياة والمساواة مع بقية العقول الأخرى علما وعملا.. قوة وتماسكا تنافسا وتواجداً.

– أصبحت تلك هى القضية العادلة والمطالبة المشروعة بالمساواة الحقيقية لى ولك.. أن نتساوى معاً بمن سبقونا وما حصلوا عليه وفازوا به من حرية استحقوها وديمقراطية احترموها وعلم قدسوه وتقدم مذهل فجروه بعقولهم داخل أوطانهم لينجزوا به ما لم يحققه نفط أو مال أو أجساد بشر.

–نعم تلك هى المساواة المثمرة لى ولك والتى تحتاج لاتحادنا معا لا لفصلى وفصلك وعزلى وحجبك بعيدا عن التحريم والتجريم ..ما دمت يا حفيد موسى أمشى على استحياء وأنا أسعى لإثبات ذاتى.. وما دمت يابن يوسف ستعصمك عقيدتك وتتفرغ لقضيتك ستفند مكرى وتبطل كيدى.. ستغض البصر عنى فأسعى لأدوار تفوق مراودتك وتتعدى مراوغتك .. ولا تنسى يا فرعون كنت بالأمس زوجتك وتعلمت بدبلوماسيتى طرق ترويضك بدلا من تقطيعى لأجزائك.

– لا تنسى بعقيدتى أنا أيضا نجحت فى استئناسك بدلا من قهرك ووأدك لنتفق على حتمية الهدنة بيننا.

–هدنة شروطها المودة والرحمة للاحتفاظ بقرة عينى لى ولك .. قرة عين تتشبث بالحياة مرفوعة الهامة .. ثابتة العقيدة ..تتعدى العراقيل وتتخطى الصعوبات.

–تستكمل خطانا حافظة لبنود العقد بعيداً عن الزيف والشعارات ورشق الاتهامات وادعاء كل للآخر أنه أذكى الأغبياء ..بعيداً عن سياسة النفخ بالهواء وفى الهواء .. نفخ الأبدان ونفخ العقول.

–ولكنى أتساءل كم منا يحلم مثلى ومثلك ويسعى لتحقيق الحلم.

عزة حسين

القدس الباكى

يا دولة الظلم نهايتك قربت

وشمسنا شرقت وشمسك غربت

القدس راح يرجع ولو طال الزمن

وهاتطرح الأرض اللى بالدم البرئ اتشربت

لو منا مات مليون شهيد

راح يكبر الطفل الوليد

يشتد عوده وينتفض

بأيديه يحارب من جديد
الليل قصير مهما طال
والفجر جاى مافيش محال
يا قدسنا الباكى الحزين
دمعك هاينشف مهما سال
يا شمس بالنور قربى
النصر غايتى ومطلبى
بحجارتى هاتكون ثورتى
وبروحى أجود لو تطلبى
الدم يرخص للوطن
يا يكون لى يوم بيت أو كفن
وإن مت فى كفاحى المجيد
راح أموت عشان يحيا الوطن

نشأت عادل مصطفى

نداء قلب

يا ممد البدر بالنور والضياء
وجهك صبح أزال الظلماء
دارت النجوم يقتبسن من
ضيك الغافى مصابيح السماء
سرت على الرمل أخفى نغمة
وغارت منك ظبية الصحراء
وسرت على شاطئ زاينته
واختفى فيروزه خلف الغطاء
بنت فى ليل خسف بدره
أصبح الليل نهار منك سواء
غار بلبل الصباح المغرد
من حنان صوتك أنقى نداء

كيف تسأل عن حياتى بعدكم
هل يسير الجسد دون دماء
يا رفيق القلب فى حزن وفى
بسمة عن فرحه وفى نداء
إن عز اللقاء بيننا ففى
جنة الخلد مكان للقاء
ملك أمرك الحياة الغالية
ليس عندى أعظم من ذا عطاء

وائل صلاح إسماعيل
طالب بجامعة
الأزهر كلية
اللغة العربية

أخى الفلسطينى

يا خويا ف فلسطين
ياخويا شايفك فى سجنك
وانت جوه سجين
ياخويا سامع صراخك
والشعوب سامعين
ياخويا شايف دمائك
والشعوب شايفين
ياخويا عايز أروحلك
بس أمشى منين
يا خويا يابن العرب
فيه سور

كسور برلين
ياللى شكيت للأمم
قصدك بتشكى لمين ؟
أمريكا
انجلترا
المانيا
شايفين ومش سائلين
لو شعبنا شعب واحد
أمريكا تسمع كلمتى
انجلترا تعمل حسابها
لغضبتى
كل الدول تسمع صراخنا
من هنا
فوق أرضنا
أحسن ما يظهر ضعفنا
نجرى شمال ويمين
ياللى شكيت للأمم قصدك بتشكى لمين

أمين الديب
إمبابة

رسالة

السيدة الأستاذة فريدة النقاش
رئيس تحرير مجلة أدب ونقد
تحية طيبة وبعد

..فأشرف بإرسال كتابى الثانى (رحلة الأيام) ..الصادر عن مديرية الثقافة بالبحيرة ، سلسلة الرواد ١٢ لسنة ٢٠٠٠ .أبعد أن ظل سنوات سبعاً ، قابعا فى ادراجها (!!).

..وهذا ، ولقد تزامن معه إجرائى لعملية «إزالة المياه البيضاء» الكتاراكتا .. بواسطة الموجات فوق الصوتية ..وجهاز الفاكو.. من عينى ، ولله الحمد والشكر..

.. وذلك ، بعد إجرائى عملية انفصال شبكى فى عينى ،منذ ٢٠ عاما ..

وذلك من جراء انكبابى على القراءة ، ثم الكتابة ..منذ صباى المبكر .. وحتى الآن ، برغم بلوغى الرابعة والسبعين .. من العمر الآن .. وإصابتى بالحساسية ، الربوية و الصدرية ، التى تمنعنى من مغادرة الفراش.

..وبرجاء قبول بالغ أسفى ، ، نيابة عن مديرية الثقافة (!!) ..للأخطاء المطبعية ، والتداخل فى بعض القصص ، التى تضمها.

..وفى انتظار التفضل بعرضها ،ونقدها ، وتقديمها بأدب ونقد » الغراء .. والرد

..وتفضلى سيادتك ،بقبول فائق الشكر.. والتقدير ..والاحترام،،

مراد صبحى متى
من كتاب الأقاليم، المظاليم»
.. ومن رجال التعليم ،بالمعاش
و(عضو اتحاد الكتاب).

محمد الدرّة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أود أن أشارك مجلتكم الرائعة بهذه القصيدة عن الطفل محمد الدره أنا أسمى مثنى عبد الرحمن أحمد ولكن المجلات التى تنشر لى تكتب اسم الشهرة وهو مثنى حامد.

ولأنها المرة الأولى التى أشارك المجلة بها أخبركم بأننى بدون مؤهل علمى وأعمل عامل «بمطعم ولى ديوان تحت الطبع بعنوان «الحب والجنون» ولكنى توقفت عن طبعه بعد انتفاضة الأقصى:

لم أمت بعد

قيل شبه للضاربين بأنى قتلت

ولكننى كنت أمسك ثوب أبى

بانتظار المدد

احمنى يا أبى

ضمنى يا أبى

سوف يأتى المدد سوف يأتى المدد

سوف تأتى جيوش

بدون عدد

ستخبر عنى الرياح

وتسكن روحى بكل بلد

أبى احمنى

لم تحن بعد لحظة موتى

لم استرح من عناء الطريق

ولا زلت فى لغة الجاهلين ولد.

أبى عندما ضمت الريح وجهى

تذكرت أمى

وإنى خرجت ولم أرها

لم أقبل يديها

أبى ضمنى، سوف يأتى المدد

سوف تأتى الجيوش بدون عدد

سوف يأتى المدد

ولكن قلبى توقف فى لحظة

وأجاب الصدى

لا أحد.. لا أحد

مثنى حامد

احذرى شعوب العرب

شهدت الساحة السودانية ومنذ مجئ نظام الجبهة الإسلامية والاسلام برئ، وإضافته لاسمها زوراً وبهتانا -شهدت الكوارث.

واتضح بالدليل العملى والواقعى أن هؤلاء لا يهمهم أمر الدين بل يستغلونه للوصول إلى السلطة وكراسى الحكم ومن ثم يتم السلب والنهب لمقدرات البلاد.

جرت أحداث غريبة لا يعرفهما السودانيون وهى نتيجة لثقافة التعصب التى أبتكرها وصنعها الترابى وأعوانه.

وقد أحدثت سياسات هذا النظام شروخا اجتماعية عميقة ومن الصعب لمن يأتى بعدهم أن يخمدها.

وهذه نصيحة للشعوب العربية أن تعى درس السودان وتجربة هؤلاء المرتدين

لثياب الدين والمتسترين خلفه ،يستغلون عواطف الناس الدينية ويخدعونهم خدمة لمآربهم. ومشروعهم للوصول للسلطة ويعتمدون على تشويه التيارات الوطنية ومحاربتها بالدين والباس الحق ثوب الباطل.

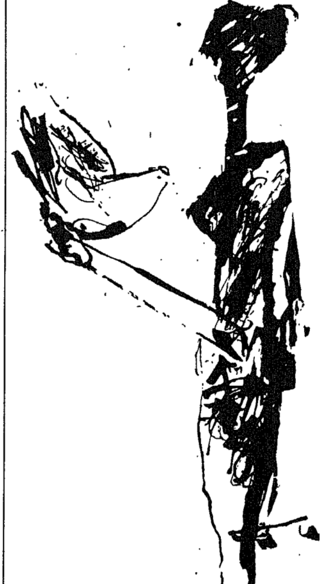
عبد الحميد مصطفى
سودانى

خطيئة الملاعق

هنا يرقد أنا

صلى وسلمى
التحيات للتحيات
الطائر للسماء
ويفتح الستار عن الأنامل الخشبية ،والجماجم المعلّقة
تحكى عن تاريخها الوردى ، فى ماراثون العدو التنازلى
روايتى لا يمكن أن تخلق مسرحا عبقريا،
يمكنها أن تخلف من ورائها إلاها هامتواضعا
الفصل الأول : أول اتنازل البشر عن ساحات الملاعق
خطيئة أول ملعقة فى طبق الاتهام
ماذا أعددنا لتناول الغذاء؟.
إنها القصة الأولى لرجل اتهم بالعراء
فازأرى أيتها الأحجار قبل أن يصدح
الفأس والمصباح
مشهد للجريمة.. آخر للعقاب
تعزف الأوركسترا بشكل أسطورى
..جنونى ..وحشى
إنه الجحيم..
الدائرة التى لم يعلنها دانتى

عماد صيام
الاسماعيلية



التغيير من أجل التجديد

« المصرى فى كل أطوار حياته عبدا لعاداته » تلك هى العبارة التى استوقفتنى وأنا أقرأ الجزء الأول من موسوعة « مصر القديمة » لسليم حسن ،وتأملت طويلا فى هذه الكلمات وقارنتها بواقعنا الذى نعيشه ووجدت أنها صحيحة تماما. وتساءلت لماذا نظل عبيداً لعاداتنا وتقاليدنا ؟ أين التغيير الذى يجعلنا نشعر بديناميكية الحياة وتفاعلنا معها؟ أين التغيير الذى يشعرنا أننا كبشر متميزين عن باقى المخلوقات؟ أين التغيير من تلك العادات والتقاليد التى أصبحت وكأنها جزء من تراثنا لا نرغب فى العبث به أو أن نحيد عن ذاك الطريق الذى رسمناه لأنفسنا وكأن الحياة بعيدة عنه مستحيلة؟.

أنه أصبح من المحتم علينا أن نتغير وننطلق نحو مجالات وأفكار وإبداع آخر غير ذاك الذى اعتدناه طوال حياتنا ..فالانسان بطبيعته ابتكارى ومبدع يحب التجديد ويرغب فى أن يرى الدنيا من حوله بشكل جميل مختلف متميز عما اعتاده بالأمس .

ولكن أن يظل « الإنسان المصرى عبدا لعاداته » كمايقول سليم حسن فى عالم لا يتغير كل سنة أو كل لحظة بل كا ثانية أو كل فمتوثانية حسب ما اكتشف العبقرى الفرعونى المصرى « أحمد زويل ».

وكما يقول الأستاذ والكاتب « رجاء النقاش » على كل إنسان أن يضيف كل يوم شيئا جديدا لحياته نعم- فحياتنا نعيشها مرة واحدة ،لأنه لو وجد لدينا ثلاث أو أربع حيوات كنا نستطيع أن نغامر بواحدة أو اثنتين .. ولكن الحياة يهبها لنا الله مرة واحدة وعلينا أن نعيشها كاملة بدون نقصان أو تزييف.

علينا أن نبتكر كل يوم وكل لحظة ونجدد فى شكل كل شئ من حولنا مثل نظام الغرفة التى أنعيش فيها ، طريقة استذكارى لدروسى ، أو كيفية تنفيذ شغلى ، أو تجديد علاقتى بالآخرين (الزوجة أو الزوج والأولاد والجيران وزملاء العمل.. الخ)

نحن نمتلك عقولاً يجب أن تفكر لا أن تقلد وتبدع لا أن تنتظر أحدا يملى عليها ماذا تفعل، وأختم كلماتى المتواضعة بكلمات الدكتور مصطفى محمود الذى يقول : «إن العرف والتقاليد والافكار الجاهزة تطمس الأشياء المبتكرة فينا، وتطمس الذات العميقة التى تحتوى على سرنا وحقيقتنا ،ونمضى فى زحام الناس وقد لبسنا لهم نفسا مستعارة من التقاليد والعادات حتى تعجبهم.

وهبة يوسف وهبة

بنى عبيد- المنيا

قومى يا قدس

قومى يا قدس إتكلمى وإحكى حكاية
كل دار
قبومى وولادك علمى ميهمهمش رصاص
ونار
ما احنا العرب
كل العرب من حقنا
إنك تعودى لحضننا إنك تكونى فعمرنا
شمس النهار
قومى يا قدس نقول لهم الأرض دى مش
أرضهم
الأرض دى شربت عرق
شربت حنين
شربت دماء من دمنا
الأرض دى من صغرها
عايشين جدودنا فحضنها
وبعلو صوتى هقول لها
إحنا الولاد وانتى أمنا
ما احنا كل العرب
من حقنا
النيل بيصرخ من هنا بيقول سيبوها
دى بنتنا
وأحلف وتحلف لهرمات
على إنها من أصلنا
قومى ياقدس ومتخافيش
لا ولا متسلميش
وكل عربى إزاى يعيش وانتى بعيد عننا
وإحنا العرب كل العرب
من حقنا

سامح هريدى
عضو جمعية المواهب الشابه

اعتقادى أن أم شارون نادمه على ولادته

اتخضت أمه
اتخضت أمه وقالت آه
يوم ما تولد شارونها ده
لطمت خدودها شقت هدومها
قالت يا ريتنى ما جبت ده
صرخت قالت يالهوتى شارون ده هو
كارثتى
غشمه جاموسى خدوا فلوسى
خدوا فلوسى
وخلصونى م البغل ده
كلمة شارون قلتها وندمت بعد ما قلتها
سفاح ودموى وده سر همى
وكل ذنبى هو ده
الواد ده اسمه شارون
سفاح حقير مجنون
عاشق للنار
فكره دمار
زعيم أشرار البغل ده
ده بغل ولا كلب ده
شارون بوز الإخص ده
لو كان ده فار
أو كان حمار

كان يبقى أفيد من اسمه ده
سفاح خطير الكلب ده
شارون إبن المجرم ده
دبح رجال
يتم عيال
من يوم شبابه البغل ده

حماده محمد عفيفى
باحث هيئة قضايا
الدولة- كفر منا وهله
-الباجور منوفية

شمس العروبة لن تغيب زمانا

فكوا القيود وأشعلوا بركانا
دمعى الجريح إذا اتذكر هانا
كذب اليهود إذا ادعو أو ما ادعوا
أو اقسموا أو أغلظوا الايمانا
كم قلتها ولسوف أمضى قائلا
عقل اليهود إذا تملك خانا
**
كل الخطوب تفجرت وتمزقت
بين الورى شهداؤنا إعلانا
وحبيبتى ترنو بعين ملؤها
كل اللظى تروى لنا أشجانا
القدس ثكلى تبكى والمدائن كلها
تبكى لها من أجلها تتحانى
وكأنهم بمأتم برثينها
أنواره انطفأت وما تتوانى
القدس والدموع غزيرة
تسقى بخالص شجوها ميدانا
ذبحوا على أعتابها الطفل البرئ
وعمموا بربوعنا العدوانا
قد قدموا قربانهم بدمائنا
ملأوا الكئوس وأهدروا الإنسان
لاعهد ، لا أخلاق فى إجرامهم
أناتنا تزهو لهم ألحانا
من كل جنس اجمعوا أن يفتكوا
بالمسلمين ويهدموا بنيانا
الخصم قاض والدروب تشعبت
والحكم يمضى فوقنا طغيانا
من أى دين تستقى أفعالهم
وبأى شرع عاملوا الجيرانا ؟
أين الأمان ؟ هل السلام حقيقة؟
أم ما تراءى للدنا ما كان
رباه إنا قد حرمنا حقنا
والمسجد الأقصى جريحا عانى
مسرى النبى محمد معراجه
مهد المسيح فهل يظل مهانا ؟.

شريف حسين محمد
أشمون منوفية

صرخة شهيد

اصمدى يا احجار
اصرخوا يا أطفال
دمى هينزف
وهيغلى بركان نار
أنا مت يا أبويا

بس بلادى لا
ولو مات اخويا
أصرخ وقول لا
فداكى يا قدس يا أمى
يا أرضى ووطنى وعرضى
صبرى طال جرحى نار
عمرى فداكى يا أرض الأبطال
من يوم ما بنوكى اجدادى
وجه عليكى الاعادى
أنا باصرخ فى كل وادى
دى بلادى .. بلادى وفداها أولادى

مجدى أسخرون رفنس
المحامى/ سوهاج

الشاعر الأستاذ/ حلمى سالم
تحية سورية

أحببتك شاعرا وتابعت مذ عرفتك شعرك وكتاباتك إلا أنه قيل لى فى مصر أنك المتحكم بنشر الشعر فى المجلة (أدب ونقد) إما بمزاجيتك الشعرية وإما بعلاقاتك الشخصية قالوا لى هذا بعدما تساءلت عن ميزانكم فى انتقاء ونشر القصائد.

ألهذا أهملت قصائدى التى أرسلتها لمجلتكم التى أحب خطها؟.

أتمنى أن تكون أهملتها للسبب الثانى لأن هذا مقدور عليه فقد حكت لى شاعرة تحبك أنك إنسان عالى الإنسانية.

أما السبب الأول فهو صعب جدا بالرغم من أننى وجدتك ونفسى ملتقيين فى أدونيس والأدونيسية (قرأت مقالتك فى الحياة) كما أقول أجمل ما قرأت لك فى أخبار الأدب التى تأتى فيها على ذكر أم فاطمة قنديل ولذلك قررت أن أبعث لك شخصيا ثلاث قصائد

عمودى حر عامى

آمل أن نلتقى فى سوريا أو فى مصر وتقبل احترامى واسلم معافى وكل عام وأنتم بخير

أخوكم شاهر خضرة
سوريا- دمشق

تعقيب

العزيز الشاعر: شاهر خضرة

تحية لك ولرسالتك البسيطة

نحن لا نختار النصوص بناء على المزاج الشعرى ولا بناء على العلاقات الشخصية فميزاننا الوحيد هو جودة النص .أما عن السهو أو النسيان أو التقصير من جهتنا فجلّ من لا يسهو ولايخطئ.

وها نحن ننشر قصيدتك « العفودية » رغم اختلاف الذوق ، تحية لك وتقديرا لجودتها الفنية . وإلى لقاء.

ح. س

سورة الأرض

بسم الذى نفخ النسوغ برحمها
دأبا لتجمل للشموس جنينا

عذراء كاعب كــل صبح تستوى
مجدا على عرش التراب رزينا
حملت بصائرنا وصارت ثيبا
وتعود بكرا كلما .. سلبونا
لا أدبرت سبلا ولا انتبذت بنا
أبد الصراع ولم تخر جبينا
عنقاء فى سم الرماد خيوطها
نسجت على نفض الموات قرونا
فينيق أحيانا يزجج بعثة
ويطير من كنعان بعلا حينا
أدونيس تعطو للتراب دماؤه
عطو الغزال إذا أراد غصونا
حدد وإنليل ونينار التى
دفقت بثدييها العراق حنينا
عشتار تمخض دمعها بشقائق
اعترشت بوادى الرافدين شجونا
نهر من الضوء المأبر ماؤه
يجرى على سحن الخلود سخينا
متلفعا سربال بابل زاحفا
بجنوده نحو الشآم معينا
بعثوا عباد الله ،جاسوا ..ما نبا
سيف ولم تنض الخيول قرينا

هذا بيان عسكرى صارم
إن عدتمو عدنا فلا ترجونا
نحن الوجود بكل آفاق السنا
متفاعلون مع النهار عيونا
وإذا الدجون أتت بليل عابر
تستمطر الأبصار ما يهدينا
أم الذين تبادلوا لبن النهى
أمى –وقد رضعوا فكان جنونا
لكنه سم وقسوة ضيغم
إن رامت الأفعى الحقود عرينا
إن تحسبوا أرضى تفيض ضروعها
عسلا فلا زالت تفور منونا
من عهد سنحاريب حتى خالد
عدتم فعدنا وأسألوا حطينا
من مبلغ التلمود أن دماءنا
تعصى ويأبى الدهر أن يعصينا
مبكاكمو حيط التحجر شاءه
(يهوه) ويسعى أرقطا ملعونا
إن كان ربكمو إلها نادما
فخذوا ندامة ربكم قانونا

شاهر خضرة

الأجــندة



إعــداد:

مصطفى عبادة

قراءة" الكتابات الأنثوية"

بعد كتابة " القمع فى الخطاب الروائى العربى"، الذى تناول فيه فكرة الحرية على كل المستويات وعلاقتها بالأدب عامة ، وفن الرواية العربية خاصة ، صدر للناقد عد الرحمن أبو عوف كتابه الجديد" **قراءة فى الكتابات الأنثوية .. الرواية والقصة القصيرة المصرية**" عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والكتاب يقدمُ نظرة بانورامية عن الكتابة الأنثوية فى الرواية والقصة القصيرة ، وهى نظرة تتسم بالعمق والشمول ، تدخل إلى موضوعها متخلصة من الأحكام المسبقة ، والمعرفة القبلية، لتواجه الموضوع بحياد وموضوعية ، تتعامل مع مكونات عالمه الداخلى، فضلاً عن أن الكتاب الدراسة له طابع شمولى يحيط بأكبر كم من المبدعات المصريات ومن أجيال مختلفة فى ١٩ فصلاً تضم قراءة فى أعمال: لطيفة الزيات ، سلوى بكر ، ميرال الطحاوى ، نورا أمين ، بهيجة حسين ، ابتهال سالم ، اعتدال عثمان ، نعمات البحيرى ، منار فتح الباب.

ظاهرة الكتابة الأنثوية أو النسوية تصاعدت بحدة فى العشرين سنة الأخيرة لكى تؤكد وتبرز أن المرأة المصرية كانت ولاتزال عضواً فعالاً ومؤثراً مع الرجل تناضل وتكتب معه من أجل تدعيم أسس وقيم المجتمع المدنى التعددى الليبرالى الجديد والديمقراطى العقلانى فى عقده الاجتماعى الذى يبنيه الآن فى عالم يموج بالتغيرات السياسية والاقتصادية والعلمية .. وقد ثبت أن الديمقراطية وحرية التعبير ترفع القهر والاستلاب عن كل من الرجل والمرأة فى نفس الوقت ، فالرجل المقهور المقموع هو الذى يمارس بالتالى القهر على المرأة وإبداع المرأة المصرية فى أغلبه يؤكد صلابة روح تحدى المرأة المصرية الجديدة لكل صنوف الاستلاب والقهر فهى تمجد الحياة وبهجتها وترنو إلى المستقبل أكثر حرية وفرحاً وتقدماً

كما تتوقف الدراسة عند رموز كاتبات السبعينيات فى القصة والرواية حيث يوحدهن تقارب الموقف الاجتماعى وتجربة الانتماء السياسى وذلك فى مقارنة مع رموز كاتبات التسعينيات ، حيث يتجنبن الانتماء واللامبالاة بالمؤسسات ، ورفض كل من الأصولية اليسارية والإسلامية المتطرفة والتركيز على الجسد وقدراتهن على تأسيس نوع من الكتابة الأنثوية التى تنحى المتفق عليه والسائد

فى الرؤى لتعود المعرفة الأنثوية بنسقها الكلى عن الوجود والروح ليكون النسق والبناء الجمالى خارج النسق البطريركى الذى سيطر على الإبداع الروائى للمرأة.

أزمة الحماية الدينية

فى لحظات الضعف التى تمر بها الأمم والشعوب ، تنفجر المشكلات بشكل عنقودى ، ولايجوز وقتها أولايصح منهجياً الحديث عن كل مشكلة على حدة إذ المشاكل الصغيرة هذه هى التجليات الصغرى لأزمة كبرى هى أزمة الضعف العام ، وفى الوطن العربى عامة ومصر بصفة خاصة كانت هناك مشكلتان دائماً ماتبرزان فى لحظات ضعفها وهما: المرأة والأقباط ، حتى أنه يمكنك أن تعرف مدى قوة مصر وتقدمها من ضعفها وتخلفها بالنظر إلى حجم طرح هاتين المشكلتين على مائدة البحث والحوار والجدل ، والغالب دائماً أن الحلقات الضعيفة هى التى تدفع ثمن الانهيار العام.

وفى ظل غياب مشروع وطنى قومى لمصر ابتداء من السبعينيات تفجرت مشكلة العلاقة مع الأقباط شداً وجذباً ولم تحسم إلى الآن حتى وصلنا إلى أن حضر إلينا وفد أمريكى للإطلاع على أحوال الأقباط واستطلاع شئونهم وهو انتهاك صارخ للسيادة الوطنية.

الباحث الشاب الدؤوب **هانى لبيب** وضع كتاباً ممتعاً يتناول أزمة الأقباط وأسباب تفجرها وموضوعة الحماية الدينية بعنوان : **أزمة الحماية الدينية : الدين والدولة فى مصر** ، صدر عن دار الشروق حاول فيه رصد المؤثرات التى تركت أثراً واضحاً من خلال تمهيد عام عن الدين والدولة ، بداية من النشأة التاريخية للكنيسة ومروراً بالكنيسة والإسلام وعبوراً إلى العصر الحديث ثم وصولاً إلى علاقة الكنيسة بالمجتمع المدنى من خلال نماذج عملية بارزة.

ثم تعرض لأزمة الحماية الدينية وهى المعركة التى تدور رحاها الآن ، وهو مصطلح غربى فى الأساس، ويعد إحدى آليات المركزية الغربية ، كما أن مصطلح الحماية الدينية نشأ فى السياق الإمبريالى الغربى مما يتنافى مع الوضع فى مصر ، فالقضية هنا فى مصر غير مطروحة بهذا الشكل ، وأقباط مصر ليسوا فى حاجة إلى حماية دينية من أية جهة خارج البلاد ، وهو مايظهر تاريخياً - عبر فصول الكتاب - من خلال علاقة الاستعمار الغربى بالإرساليات التبشيرية فى الماضى ، وبين علاقة العولمة بالحماية الدينية فى الحاضر دون أى إسقاط على

الكنائس غير القبطية الأرثوذكسية فى مصر بالإضافة إلى توضيح تفصيلى للمواطنة ودورها.

لم يتعامل الكتاب مع الأقباط المسيحيين باعتبارهم طوائف متعددة داخل الدين الواحد لأن الكتاب ينطلق من أرضية معرفية واجتماعية خاصة، تتعدى فكرة الطوائف.

جمال عبد الناصر: نشأة وتطور الفكر الناصرى

لايزال جمال عبد الناصر، برغم غيابه الطويل يثير الأسئلة ويحير المحللين وربما كان مرد ذلك إلى المرحلة التاريخية المحبطة التى نعيشها، والتى نفتقد فيها رائحة الأبطال الحقيقيين، حتى فى كرة القدم، وفى مثل هذه اللحظة أو اللحظات يتوجه الذهن مباشرة إلى التاريخ سواء القديم منه أم المعاصر للبحث عن لحظة مشرفة أو بطل تاريخى، يكون تعويضاً عن إحباط الحاضر، وهى آلية ذهنية، يكاد ينفرد بها العقل العربى دون سواه.

فى هذا السياق صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت كتاب "**جمال عبد الناصر .. نشأة وتطور الفكر الناصرى**" للدكتورة **بثينة عبد الرحمن التكريتى**، وهو من الكتب التى تقوم بتمويلها وقفية جمال عبد الناصر الثقافية.

لقد تحدد الفكر الناصرى من نشأته وصولاً إلى الأهداف القومية الكبرى فى الحرية والاشتراكية والوحدة، فالناصرية بهذا المعنى هى الأفكار النظرية العامة التى توجه الاستراتيجيات والمضامين التى انطوت عليها تلك الأهداف القومية، وهى بكلمة أخرى الأيديولوجيا الثورية المعبرة عن روح الأمة العربية.

يهدف الكتاب إلى رصد معالم الفكر الناصرى وآثاره بدءاً بحياة عبد الناصر حيث النشأة وبدايات التطور الفكرى، ويستعرض المراحل الأساسية لتطور هذا الفكر بالممارسة والتجريبية، ويلقى الضوء على دور الناصرية فى حفز حركات التحرر فى العالم الثالث. كما يبحث فى دور هذا الفكر كإحدى دعائم السلم العالمى فى أشد أيام الحرب الباردة حرجاً، فقد كان العمل من أجل إبعاد شبح الحرب يأتى فى طليعة أولويات حركة عدم الانحياز والتى كان جمال عبد الناصر أحد أبرز أقطابها.

ينقسم الكتاب إلى خمسة فصول وخاتمة. الفصل الأول هو: الاتجاهات الفكرية والسياسية فى مصر قبل ظهور الفكر الناصرى. والثانى: حياة جمال عبد الناصر

.. الأسرة ، النشأة ، بدايات التطور الفكرى ، والثالث: تطور الرؤى الفكرية لدى جمال عبد الناصر بعد نكسة فلسطين (١٩٤٨ -١٩٥٢) والرابع: تطور الفكر الناصرى من الثورة حتى النكسة (١٩٥٢-١٩٦٧) ، والخامس: العوامل التى مهدت للنكسة وانعكاساتها على آراء عبد الناصر ومواقفه . أما الخاتمة فهى بعنوان: الناصرية مفهوماً وإطاراً أيديولوجيا عاماً.

بليغ حمدى : بلاغة الألحان

مازلت فى حالة انعدام الوزن .. أطير فى مجال بلا مغناطيس يجذبنى إلى شئ .. لاأتثبته.

لأ.. يضغط قوى على الهمزة .. النهاردة حاسس بحالة رفض جوايا صاحية معايا من النوم .. لا .. أى حاجة لا. مبسوط لا . زعلان لا . إيه فيه إيه؟

مجرد رفَض .. لاعندى رغبة فى الإحساس تدفعنى لنطق كلمة لا . نفسى فى تحطيم قواعد الحركة اليومية .. والسلوك.

مش ممكن فيه يوم يبقى إسمه " السبت".

هذه واحدة من يوميات بليغ حمدى كتبها فى شهر مايو سنة ١٩٩٣ ، وفيها التعبير الحقيقى والصادق عن حياة بليغ الفنية والإنسانية ، تلك الحياة الغنية بالفن والمشاعر والموسيقى ، فقد كان بليغ حالة فنية تفجرت فى تاريخ الموسيقى المصرية ، وتركت أثرها واضحاً فى كل من تعامل معها سواء الشعراء أم المطربين أم حتى مستمعى أغانيه ، وبليغ حمدى كما يقول عنه الفنان محمد نوح " عاش عمره القصير فى تدفق مستمر من النغمات والألحان لم تحدث فى التاريخ إلا مرتين لاثالثة لهما : مرة مع الموسيقار موتسارت ، ومرة مع سيد درويش ثم كانت الثالثة مع بليغ حمدى ".

الزميل الصحفى " أيمن الحكيم" غاص وراء حياة بليغ وألحانه فى رحلة ممتعة فى كتابه الجديد " **بليغ حمدى .. مذكرات شخصية وشهادات مثيرة لرفاق رحلة** . الذى صدر عن دار ميريت للنشر والتوزيع.

تتبع أيمن الحكيم كل مايتعلق بحياة بليغ حمدى ، تفاصيل هذه الحياة من خلال مذكراته الشخصية الصوتية والخطية والتى تنشر لأول مرة وتتضمن خفايا علاقاته بأم كلثوم وعبد الحليم ومحمد رشدى وغيرهم من نجوم الأغنية . كما

يحتوى الكتاب على شهادات مثيرة لرفاق رحلة بليغ حمدى وأقرب المقربين إليه تكشف عن جوانب مجهولة فى شخصيته وهى شهادات كتبها : شقيق بليغ حمدى الكاتب مرسى سعد الدين . وعبد الرحمن الأبنودى ، وكامل زهيرى، والإذاعى الكبير وجدى الحكيم ، والمطرب محمد رشدى ، وهيثم حمدى ابن شقيق الموسيقار وغيرهم من نجوم عصر بليغ حمدى . كما يحتوى الكتاب على ثبت كامل بأغانى بليغ ومغنيها وكاتبى كلماتها والتى بلغت ٧٤٦ أغنية .

والكتاب هو الأول فى المكتبة العربية عن بليغ حمدى الذى رحل فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٩٣ بعد حياة حافلة بالعطاء والشهرة والشائعات والأضواء ، أثرى خلالها الوجدان العربى بمئات الألحان العذبة التى تغنى بها عمالقة الطرب.

شمس وضل

فى مجموعتها الثانية"شمس وضل" تحاول القاصة " **هدى حسين إبراهيم**" التقدم خطوة جديدة إلى الأمام، فى محاولة لإنقاذ الذات الأنثوية من القهر والإحباط العاطفى ، حيث تتحول الكتابة لدى هدى إلى معادل موضوعى ، يتخلص بها الكاتب أو الكاتبة من اشتراطات واقعة ، دعامة هذه المجموعة القصصية الجديدة هى الصدق مع النفس ومع الآخرين، بحيث لاتدعى لنفسها مالاتعرف ، ولاتكتب إلا ماتحس ، وهو الأمر المقبول من كاتبة غير متفرغة للكتابة ، وإنما هى بالنسبة لها احتياج عاطفى وإنسانى لاترمى من ورائها إلى شهرة أو مكسب مادى.

تضع هدى حسين لحظاتها الإنسانية أمام مرآة ذاتها لتكتنه خلال هذه العملية مشاعرها تجاه نفسها وتجاه الآخرين ، فى لغة بسيطة، تفتقد التركيز المطلوب للكتابة ، لغة تمليها العاطفة ولاتتحكم فيها خبرة كتابية سابقة أو قراءات أدبية نوعية سابقة أيضاً.

يقول محمد جبريل فى تقديمه للمجموعة: الظاهرة الأهم فى قصص هدى حسين أنها تتأمل الحدث ، وتعيد اكتشافه ، السرد بسيط وسهل وعفوى ، إنها تجيد غزل المواقف المحملة بالأفكار المجردة أو الوعظية..

ولعل البساطة هى السمة الواضحة فى قصص هذه المجموعة ، إنها تعتمد على السرد المباشر الذى ينأى عن الغموض والتلفيز.

قصيدة النثر.. رسالة

لأول مرة توافق إحدى كليات الآداب فى جامعة مصرية على موضوع " قصيدة النثر" للدراسة فى أطروحة أكاديمية ، فقد وافقت كلية الآداب فى جامعة عين شمس على مشروع أطروحة الدكتوراه الذى تقدم به الناقد **عبد الله السمطى** تحت عنوان « **التحولات الجمالية فى قصيدة النثر العربية فى النصف الثانى من القرن العشرين** » ، بإشراف الناقد د. صلاح فضل رئيس قسم اللغة العربية فى الكلية. يتضمن مشروع الرسالة أربعة أبواب : فى الباب الأول الذى يحمل عنوان ، الإرهاصات الأولى ، يناقش البحث مصطلح قصيدة النثر وإرهاصاتها وإرهاصات التحول والنثر الفنى عند جبران وأمين الريحانى والرافعى وحسين عفيف وبعض التجارب الأولية عند كتاب الأربعينيات ، وفى الباب الثانى يدرس مرحلة التأسيس الجمالى من خلال تجربة مجلة « شعر » وتأصيلها النظرى لقصيدة النثر فى الشعرية العربية ودور كل من أدونيس وأنسى الحاج ومحمد الماغوط وشوقى أبى شقرا.

ويناقش فى الباب الثالث مرحلة التجريب فى قصيدة النثر خلال الثمانينات والتسعينيات عبر مدارس قصيدة النثر الرئيسية فى هذه المرحلة منذ وديع سعادة وسركون بولص وسليم بركات وعباس بيضون وقاسم حداد ورفعت سلام وسيف الرحبى ، وفى الباب الرابع والأخير تقدم الرسالة مايسميه الباحث" مرحلة التفكيك" حيث يتناول القضايا الجمالية فى قصيدة النثر فى التسعينيات من قبيل اليومى والمألوف والمهمش والتفاصيل الصغيرة والمشهدية والموقف من المجاز اللغوى ، والموقف من الإيقاع والذات الشاعرة وظهور مايسمى بقصيدة النثر النسوية.

الجدير بالذكر أن الناقد عبد الله السمطى نال درجة الماجستير عن موضوع « تجربة شعراء السبعينات فى مصر" وصدر له كتاب نقدى بعنوان « أطياف شعرية » وديوان شعر« فضاء المراثى ».

العرب من الحداثة إلى العولمة

تنهمر فوق رؤوسنا يومياً الكتب سواء المبشرة أو الرافضة للعولمة ، وكلها تعتمد فى بحثها للمصطلح وتجلياته على جميع مناحى الحياة على النظرية فى أصلها الغربى وكما أطلقت بعد حرب الخليج الثانية ، وهيمنة الشركات التابعة

للتحالف الغربى ضد العراق ، ولم يحاول أى من هذه الكتب التأصيل لهذا المصطلح وأصوله العربية باستثناء محاولة د. إسماعيل صبرى عبد الله ، والكتاب الذى أصدره مركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت وهو عبارة عن ندوة اختلفت فيها الآراء وتباينت مما شتت المتلقى ولم يخرج بفكرة مكتملة عن العولمة.

وتلك محاولة جديدة للإسهام فى هذا المجال صاحبها **د. صالح السنوسى** وتقوم على أن مشكلة العرب وهم يدخلون القرن الحادى والعشرين لاتكمن – فقط – فى كونهم يدخلون بوابة هذا القرن مدفوعين إليه دفعاً وعلى غير ماكانوا يتطلعون إليه .. بل تكمن فى عدم اعتراف الآخرين بدورهم الحضارى ، فى حين أن البعض الآخر يعتبرهم مجرد ناقلين وليسوا مبدعين ، وهى الإشكالية التى سعى إلى حلها صالح السنوسى فى كتابه « العرب من الحداثة إلى العولمة » الصادر عن دار المستقبل العربى

الأسطورة الصهيونية
والانتفاضة الفلسطينية

مازالت الانتفاضة الفلسطينية تلهم المفكرين والمحللين والمبدعين ، لتثبت يوماً بعد يوم أنها جذوة مقدسة من إبداع الأطفال ، وآخر ماصدر فى هذا الشأن كتاب المفكر المصرى مستشار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام **السيد يسن** بعنوان: " **الأسطورة الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية**"

يضم الكتاب مجموعة دراسات تتناول الصراع العربى الإسرائيلى من مختلف جوانبه . فى الباب الأول دراسة متكاملة لمفهوم الذات الصهيونية كما ترى نفسها وذلك من خلال تحليل مضمون كيفى لمجموعة من الأبحاث نشرتها السفارة الإسرائيلية فى واشنطن على موقعها فى الإنترنت بمناسبة مرور مائة عام على الصهيونية. كما يتناول الكتاب كيف يدرك المثقفون العرب الظاهرة الصهيونية وتصوراتهم لحل الصراع العربى الإسرائيلى الممتد من خلال تحليل بعض الشهادات والندوات التى قدمها وشارك فيها مثقفون وسياسيون عرب من مختلف التيارات السياسية.

يوضح الكتاب أن الانتفاضة بذاتها أعادت طرح العديد من مشكلات الاستعمار الاستيطانى الصهيونى لفلسطين سواء على المستوى العملى أم النظرى . وخصص الباب الثالث وهو عبارة عن مقالات للمؤلف نشرها فى الأهرام فى صفحة أوراق

ثقافية،تناقش بشكل نقدى مختلف التصورات المطروحة على الساحة الفلسطينية والعربية " ثلاثية المواجهة والتسوية والمقاومة " التى يؤكد فيها المؤلف أن المواجهة هى عملية حضارية ممتدة بين العرب وإسرائيل والتسوية السياسية هى إحدى السبل التى ينبغى طرقها لمعرفة إمكانيات الحصول على الحق الفلسطينى من خلال التفاوض

أما الباب الرابع فهو يتعمق فى موضوع الصراع الحضارى بين مصر وإسرائيل ويناقش مختلف جوانب الموضوع . صدر الكتاب عن دار ميريت للنشر والتوزيع فى ٢٨٥ صفحة.

"أسنان المشط" .. روح حرة من لبنان

قصة حب بين تلميذة بيضاء ، ومدرس أسود ، قصة عادية يمكن أن تحدث آلاف المرات ، لكن **جواد صيداوى** ينطلق منها إلى مناقشة العنصرية وتبدياتها فى المجتمعات كافة ، فبسبب هذه العنصرية ، وخوف المدرس الأسود من افتضاح أمره يطلب نقله إلى مدرسة أخرى بعد أن قامت بينه وبين التلميذة علاقة الحب الكاملة خوفاً من الفضيحة وفتك أهالى البلدة به .

لكن وفى لمحة ذكية ينبه المؤلف إلى أن فكرة العنصرية تتجلى أكبر لدى الأغنياء متخذة بعداً طبقياً ، فالبشر العاديون الذين يكافحون سعيا إلى العيش الكريم لايتوقفون أمام لون أو معتقد الآخرين لأنهم مشغولون بصنع الحياة ، بينما الأغنياء يكون التفريق بين البشر لديهم مبرراً وسببا فى احتفاظهم بوضعهم الطبقى.

- نفيت التهمة بشدة ، وقلت لها إننا نحترم البشر جميعهم لأن ديننا يعلمنا أن الناس سواسية كأسنان المشط.

- الناس ... ماذا؟

- سواسية كأسنان المشط.

- مامعنى ذلك؟

- أن الناس جميعهم متساوون أمام الله لافرق بين إنسان أسود وآخر أبيض.

توقفت الأم عن دلك خديها والتفتت إلى ابنتها تسألها باستغراب ظاهر:

- يعنى نحن والعبيد متساوون مثل أسنان المشط.

- يعنى أن الله هو خالق البشر جميعهم.



حاولت سلمى التخفيف من نبرة صوتها فتمتمت قائلة:

- هذا صحيح ، ياحبيبتى، إن الله سبحانه وتعالى ، هو خالق الجميع ولكن..

لم تكمل، عادت إلى دلك خديها .قالت سلوى |

- ولكن ... ماذا ياماما؟

- لاشئ .. يبدو أن رفيقتك كاترين طويلة اللسان أكثر من اللزوم.

رواية " أسنان المشط" لـ : جواد صيداوى ، صدرت عن دار الفارابى وتقع فى ٢١٠ صفحات من القطع المتوسط ، و هى الرابعة فى تاريخ صيداوى الروائى بعد: " العودة على متن الرحيل" ١٩٩٢. و" جمانة" ١٩٩٥ و" مطاردة" ١٩٩٧ كما صدر له من قبل سيرة ذاتية روائية فى ثلاثة أجزاء :" الوكر" ١٩٩٣ - " الإقلاع " ١٩٩٤ -" تونس" ١٩٩٤.

رقم الايداع ٩٢/٧٥١٢ الثمن جنيهان الأمل للطباعة والنشر